توفيق الحكيم

لو عرف الشباب

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

١	ــ محمد ﷺ (سيرة حوارية)	١٩٣٦
٢	ــ عودة الروح (رواية)	١٩٣٣
٣	ــ أهل الكهف (مسرحية)	١٩٣٣
٤	ــ شهرزاد (مسرحية)	١٩٣٤
٥	ــ يوميات نائب فى الأرياف (رواية)	١٩٣٧
٦	ــ عصفور من الشرق (رواية)	١٩٣٨
٧	ــ تحت شمس الفكر (مقالات)	١٩٣٨
٨	ــ أشعب (رواية)	١٩٣٨
٩	ــ عهد الشيطان (قصص فلسفية)	١٩٣٨
١٠	ــ حمارى قال لى (مقالات)	١٩٣٨
١١	ــ براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية)	١٩٣٩
١٢	ــ راقصة المعبد (روايات قصيرة)	١٩٣٩
١٣	ــ نشيد الأنشاد (كما فى التوراة)	١٩٤٠
١٤	ــ حمار الحكيم (رواية)	١٩٤٠
١٥	ــ سلطان الظلام (قصص سياسية)	١٩٤١
١٦	ــ من البرج العاجى (مقالات قصيرة)	١٩٤١
١٧	ــ تحت المصباح الأخضر (مقالات)	١٩٤٢
١٨	ــ بجماليون (مسرحية)	١٩٤٢
١٩	ــ سليمان الحكيم (مسرحية)	١٩٤٣
٢٠	ــ زهرة العمر (سيرة ذاتية ــ رسائل)	١٩٤٣
٢١	ــ الرباط المقدس (رواية)	١٩٤٤

٤٤ ــ مصير صرصار (مسرحية) ١٩٦٦
٤٥ ــ الورطة (مسرحية) ١٩٦٦
٤٦ ــ ليلة الزفاف (قصص قصيرة) ١٩٦٦
٤٧ ــ قالبنا المسرحى (دراسة) ١٩٦٧
٤٨ ــ بنك القلق (رواية مسرحية) ١٩٦٧
٤٩ ــ مجلس العدل (مسرحيات قصيرة) ١٩٧٢
٥٠ ــ رحلة بين عصرين (ذكريات) ١٩٧٢
٥١ ــ حديث مع الكوكب (حوار فلسفى) ١٩٧٤
٥٢ ــ الدنيا رواية هزلية (مسرحية) ١٩٧٤
٥٣ ــ عودة الوعى (ذكريات سياسية) ١٩٧٤
٥٤ ــ فى طريق عودة الوعى (ذكريات سياسية) ١٩٧٥
٥٥ ــ الحمير (مسرحية) ١٩٧٥
٥٦ ــ ثورة الشباب (مقالات) ١٩٧٥
٥٧ ــ بين الفكر والفن (مقالات) ١٩٧٦
٥٨ ــ أدب الحياة (مقالات) ١٩٧٦
٥٩ ــ مختار تفسير القرطبى (مختار التفسير) ١٩٧٧
٦٠ ــ تحديات سنة ٢٠٠٠ (مقالات) ١٩٨٠
٦١ ــ ملامح داخلية (حوار مع المؤلف) ١٩٨٢
٦٢ ــ التعادلية مع الإسلام والتعادلية (فكر فلسفى) ١٩٨٣
٦٣ ــ الأحاديث الأربعة (فكر دينى) ١٩٨٣
٦٤ ــ مصر بين عهدين (ذكريات) ١٩٨٣
٦٥ ــ شجرة الحكم السياسى (١٩١٩ ــ ١٩٧٩) ١٩٨٥

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى الإنجليزية فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كروان) بنيويورك فى عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية فى لينينجراد عام ١٩٢٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية فى واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب فى الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ ـــ ترجمة أبا إيبان ـــ ترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦ .

عصفور من الشرق : ترحم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ .

عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان (مذكرات قضائى شاعر) عام ١٩٦١ .

بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزيــة فى أمريكــا بدار نشر (ثرى كنتننتــزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠

بيت النمل : ترجــم ونشر بالفرنسيــة فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢ .

الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإنجليزيــة فى أمريكــا بدار نشر (ثرى كنتننتــز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الأيدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن ١٩٨١ .

الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الشيطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .

العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .

دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينمان عام ١٩٧٣ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .

لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن عام ١٩٨١ .

الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .

السلطان الحائر : ترجم ونشر بالإنجليزية لندن هاينمان عام ١٩٧٣

وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ فى دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شيء فى مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هابنمان — لندن .

الشهيد : ترجمة داود بشاى (بالإنجليزية) جمع محمود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .

محمد ﷺ ترجمة د . إبراهيم الموجى ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .

المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج ببرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلى وندر ونشر دار ماكملان — لندن .

من وحى تيار المجتمع

الرجُل الذى صمَد

قصة تمثيلية فى فصل واحد

(حجرة مكتب نظيفة بسيطة لا أثر فيها للترف ولا للبذخ ، فى منزل الشيخ المحترم « صالح بك زهدى » .. وهو جالس إلى مكتبه .. مكب على أوراق وفى يده قلم ، تدخل عليه زوجته « فاطمة هانم » ، فلا يفطن ولا يرفع رأسه عن عمله المنهمك فيه .....)

فاطمة هانم : أتدرى كم الساعة الآن ؟.. نحن الآن الظهر .. وأنت مكب على عملك هكذا منذ الصباح ؟!.. قلت لنا بعد نصف ساعة تفرغ لنا .. وها قد مضت ساعات .. « علوية » بنتنا كادت تظن أنك تتهرب عمدًا من الحديث فى مسألة جهازها !..

صالح بك : إنى الآن مشغول بجهاز آخر أهم من جهاز « علوية » !..

فاطمة هانم : جهاز آخر أهم ؟!..

صالح بك : جهاز الدولة .. هذا المساء تعرض على مجلس الشيوخ مذكرة اللجنة المالية عن الميزانية العامة .. أليس من واجبى وأنا رئيس هذه اللجنة أن ألقى نظرة أخيرة على التقرير ؟!..

فاطمة هانم : نعم ؟!.. ميزانية الدولة !.. تحسن تدبير ميزانية الدولة ، ولا تحسن تدبير ميزانية بيتك ؟!.. على رأى المثل :
« باب النجار مخلع ! .. »

صالح بك : ثقى أنى سأحسن تدبير المبلغ اللازم لجهاز « علوية » !..

فاطمة هانم : ستقترض ؟!..

صالح بك : عندى فكرة أخرى سأخبرك عنها فيما بعد ..

فاطمة هانم : أخبرنى الآن .. ليطمئن قلبى ..

صالح بك : سأستبدل جزءًا من معاشى !..

فاطمة هانم : (**صائحة**) معاشك !.. معاشنا ؟!.. تمس معاشنا ؟!.. هذه

الثمانون من الجنيهات التى خرجت بها بعد خدمتك القضائية طول العمر !.. هذه الجنيهات الثمانون التى بها نعيش طول الشهر ونربى أولادنا ونحافظ على مظهرنا ..

صالح بك : مهلا .. مهلا .. لا تنسى أنى أتقاضى فوق ذلك أربعين جنيها مكافأتى البرلمانية ؟..

فاطمة هانم : هذا مبلغ ليس بالدائم .. ولا يمكننا الاعتماد عليه فى المستقبل .. وليس عندنا كما تعلم مدخر .. وقد حاولت كثيرًا الاقتصاد والتوفير فلم أفلح .. فمنذ تزوجتك من ثلاثين عاما مضت ، ومرتبك يزيد ببطء ، وأعباؤنا تثقل بسرعة .. فلنحمد الله أننا استطعنا أن نعيش حتى الآن مستورين .. لكن لا تنس أن المعيشة اليوم مرتفعة التكاليف .. وأن مركزك الاجتماعى الآن لا يسمح مطلقًا بالهبوط عن هذا المستوى .. وهو مستوى متواضع بالنسبة إلى مكانتك .. لا تنس كل ذلك وأنت تفكر فى استبدال معاشك الذى نعتمد عليه جميعًا !..

صالح بك : مهلا .. لا تنسى أنت أيضًا أن أعباءنا ستخف فى المستقبل القريب إن شاء الله .. « فعلوية » ستتزوج .. و« عادل » سيتخرج فى كلية الهندسة هذا العام !.. /

فاطمة هانم : كم المبلغ الذى سيستقطع من المعاش ؟!..

صالح بك : هذا يتوقف على المبلغ الذى نحتاج إليه !..

فاطمة : ليس أقل من خمسمائه جنيه .. عريسها لم يدفع غير ثلثمائة جنيه مقدم صداق .. وهى لا تكفى اليوم لتأثيث حجرة نوم محترمة .. ألا تلزمها حجرة أخرى أو حجرتان .. ليكون لها من ذلك مسكن .. هذا فضلا عن الملابس الضرورية ؟.. أأنا

مغالية فى هذا التقدير ؟..

صالح بك : لا ...

فاطمة هانم : إذن يجب تدبير هـذه الجنيهات الخمسمائـه .. حتى نستـر البنت .. ولا ننفضح أمام أهل العريس .. ولو أردت رأيى لقلت إنى كنت أفضل أن تفتـرض هـذا المبلـغ ، ولا تمس المعاش !..

صالح بك : أقترض هذا المبلغ ؟.. ممن !..

فاطمة هانم : من أى بنك ..

صالح بك : والضمان ؟.. أعندنا عقار ؟.. أو منقول ذو قيمة نقدمه ضمانا لهذا المبلغ ؟.. أنسيت أن « البنوك » لا بد لها من ضمان مالى أو شخصى ؟..

فاطمة هانم : أو شخصى ؟!..

صالح بك : (**ينظر إليها محدقا**) نعم .. ماذا تقصدين ؟..

فاطمة هانم : أيوجد شخص له رصيد يرفض أن يضمنك لدى أى بنك ، فى مثل هذا المبلغ الزهيد ؟!..

صالح بك : (**بخشونه**) « فاطمة » !.. فاطمة !.. ألى أنا تقولين هــذا الكلام ؟..

فاطمة هانم : لا تؤاخذنى يـا « صالح » !.. حقًـا لـيس لك أنت .. إنى أعرفك .. أعرفك جيـدا .. أنت هـو أنت .. لم تتـغير .. أعرفك .. (**تتنهد طويلا**) أعرفك ..

(**يسمع جرس الباب الخارجى**)

صالح بك : من هُذا ...

(**ينظر فى ساعته ...**)

فاطمة هانم : أتنتظر أحدا ؟..

(**يظهر خادم وفى يده بطاقة .. فتتناولها « فاطمة هانم » من يده وتنظر فيها ...**)

صالح بك : (**متسائلا**) من ؟.. « عبد البر باشا » ؟!..

فاطمة هانم : (**وهى تناوله البطاقة**) نعم .. هو بعينه ..

(**الخادم يخرج بسرعة ...**)

صالح بك : (**للخادم**) قل له يتفضل ..

فاطمة هانم : أليس هو المالى المعروف؟.. أتعرفه إذن جيدا ؟!..

صالح بك : زميل قديم .. ولكنى لم أقابله منذ مدة .. ولا أدرى لماذا طلب منى هذا الموعد اليوم ؟!..

فاطمة هانم : (**وهى منصرفه**) أنصرف أنا إذن .. لأعد لكما القهوة .. (**كالمخاطبة لنفسها**) خيرا يارب .. خيرا .. خيرا ..

(**تخرج .. ولا يمضى قليل حتى يظهر الخادم من باب آخر وخلفه « عبد البر باشا »**)

صالح بك : (**ناهضا لاستقبال ضيفه**) أهلا « عبد البر باشا » .. أهلا وسهلا ..

عبد البر باشا : أرجو ألا تكون زيارتى معطلة .. إنى أعرف مشاغلك فى المجلس .. خصوصًا هذه الأيام .. لذلك سأكون مختصرا على قدر الإمكان ..

صالح بك : (**يشير إليه بالجلوس**) خذ مطلق حريتك .. نحن لم نتقابل منذ زمن طويل ..

عبد البر باشا : حقا .. منذ أن كنا قاضيين فى دائرة واحدة بمحكمة مصر تحت رياسة زميلنا المرحوم ..

صالح بك : « راغب بك » !..

عبد البر باشا : مضبوط .. « راغب بك حمدى » ..

صالح بك : الله يرحمه .. كان مثال الاستقامة .. وكانت له كلمات لا تزال منقوشة فى ذهنى ...

عند البر باشا : أيام !..

صالح بك : ولكنى أذكر أننا تقابلنا أيضًا بعد ذلك العهد .. أظن عقب استقالتك من القضاء ، واشتغالك فترة بالمحاماة !..

عبد البر باشا : بالضرورة .. تقابلنا فى فترة اشتغالى بالمحاماة .. وقد ترافعت أمامك وأنت رئيس الدائرة المدنية .. ولا أريد أن أذكرك بأنك كنت فى غاية الدقة والشدة و لم تكسبنى قضية واحدة !..

صالح بك : على الرغم منى ولا شك ..

عبد البر باشا : طبعًا ..

صالح بك : بعد ذلك انصرفت أنت فيما أعلم إلى الأعمال المالية نهائيًا ..

عبد البر باشا : ووفقنى الله فيها كل التوفيق ..

صالح بك : الحمد لله !..

عبد البر باشا : منذ ذلك الوقت لم يسعدنى الحظ بمقابلتك .. وإن كنت أتتبع أخبارك فى الصحف ..

صالح بك : أنا أيضًا أعرف أخبارك من الصحف .. ولقد قرأت حديثًا أنك عدت من رحلة خارج القطر !..

عبد البر باشا : نعم .. سافرت إلى « إيطاليا » و « فرنسا » و « إنجلترا » .. رحلة أعمال .. وعدت فوجدت صديقنا وزير المالية قد استقال لأسباب صحية .. وعين خلفا له صديقك الوزير الحالى ..

صالح بك : هذا صحيح !..

عبد البر باشا : الوزير الحالى رجل طيب ، فيما علمت ، ولكن صلتى الشخصية به فى حكم المعدومة ...

صالح بك : هو حقا رجل طيب !..

عبد البر باشا : قيل لى إنه صديق حميم لك ..

صالح بك : نحن أبناء قرية واحدة !..

عبد البر باشا : عظيم .. عظيم جدًا .. هذا من فضل الله وتوفيقه .. لا أطيل عليك .. هل عندك مانع .. نذهب معًا لمقابلته فى مسألة بسيطة ؟!..

صالح بك : مسألة من أى نوع ؟..

عبد البر باشا : أولا لتوكيد المعرفة وتقديم الهدية الصغيرة التى أحضرتها له من إيطاليا .. انظر .. (**يخرج من جيبه علبة**) علبة سجاير من الذهب .. منقوشًا عليها الحرف الأول من اسمه .. حرف الميم !..

صالح بك : أكنت قد أحضرتها له هو خصيصًا ؟!..

عبد البر باشا : (**باسما**) بينى وبينك كانت لصديقى الوزير السابق .. ولكن من فضل الله وتوفيقه أن الوزير الحالى يبدأ اسمه هو الآخر بحرف الميم !..

صالح بك : وما هو الغرض بالاختصار ؟!..

عبد البر باشا : الغرض باختصار أن هناك طلبا سيعرض على هذا الوزير لتصدير كمية كبيرة من الزيت والأرز إلى بعض الأقطار !..

صالح بك : فهمت !..

عبد البر باشا : الصفقة فيها عمولة .. قد تصل إلى عشرة آلاف جنيه ..

صالح بك : مبلغ جسيم !..

عبد البر باشا : العمل لن يستغرق منك أكثر من ربع ساعة .. نذهب خلالها معا إلى صديقك وزير المالية ليعجل بإعطائنا إذن التصدير !..

صالح بك : تطلب منى أنا ذلك ؟!...

عبد البر باشا : وسأحرر لك الآن شيكا بمبلغ خمسة آلاف جنيه .. دفعة أولى ..

(يضع يده فى جيبه ويخرج دفتر الشيكات)

صالح بك : مهلا يا باشا .. مهلا .. لقد كانت بيننا علاقة زمالة قديمة .. وكنت أعتقد أنك تعرفنى وتفهمنى وتقدرنى !..

عبد البر باشا : آسف يا « صالح بك » .. آسف .. لعلى أسأت معك التصرف أو التعبير ، ولكن ثق أن هذا صادر عن حسن نية .. فأنا أول من يعرف ويفهم أن قدرك أرفع بكثير من مثل هذا المبلغ الزهيد ولكننى قلت إنه دفعة أولى معجلة .. ومع ذلك فأنا على أتم استعداد ، إثباتا لحسن قصدى وعظيم تقديرى ، أن أرفع قيمة الدفعة الأولى وأحرر لك منذ الآن الشيك بمبلغ عشرة آلاف جنيه !..

صالح بك : (**كالمخاطب نفسه**) ياله من تقدير !..

عبد البر باشا : أنا تحت أمرك يا صالح بك .. مر بما تشاء .. هذه أول مرة نشترك فيها معا فى عملية مالية .. ومن واجبى بحكم الزمالة القديمة أن أرضيك كل الرضا ..

صالح بك : أشكرك !..

عبد البر باشا : ما الذى يرضيك ؟!..

صالح بك : أتريد أن تعرف ما الذى يرضينى ؟..

عبد البر باشا : يهمنى ذلك جدًا .. لأن صلتنا المالية قد لا تقف عند حد هذه

العملية .. إنى أؤمل أن يكون لنا معا بإذن الله نشاط أوسع وأكبر فى مجال الأعمال .. إن بعدك يا صالح بك » عن هذا المجال حتى الآن ، ليس له ما يبرره على الإطلاق .. على كل حال الفرص المقبلة كثيرة .. وكل ما أرجوه أن نتعاون ، وأن تفضى إلى بكل صراحة بما يرضيك !..

صالح بك : ما يرضينى بكل صراحة هو أن ترد إلى جيبك دفتر شيكاتك .. وأن تنسى كل ما قلته لى الآن ..

عبد البر باشا : (**مصدوما**) ماذا تقول ؟..

صالح بك : (**مستمرًا**) وأن تذكر ما كنا نقوله فى حجرة المداولة ، يوم كنا نجتمع فيها مع زميلنا « راغب بك حمدى » رحمة الله عليه !..

عبد البر باشا : ما مناسبة ذلك الآن ؟!..

صالح بك : إنى أذكر الآن كل حرف مما كنا نقوله بالأمس .. كنا نذهب فى الصباح إلى المحكمة بالترام أو مشيا على الأقدام .. بينما المحامون وموكلوهم يذهبون بالسيارات الفخمة .. وكنا نسائل أنفسنا قائلين : ألنا أن نخجل من ذلك أو نفخر ؟.. فكان « راغب حمدى » يقول نخجل ؟.. ولماذا نخجل ؟.. هل قيمتنا فى شخصيتنا أو فى السيارة ؟.. وهل فضلنا فى خلقنا أو فى المحفظة ؟.. إذا انحط مجتمع إلى هذا الدرك الذى يجعل فيه « للجماد » سلطة الحكم على قيمة « الإنسان » فلا خير لحياة البشر !..

عبد البر باشا : (**مطرقا**) رحمة الله عليه !..

صالح بك : نعم رحمة الله عليه ورضوانه .. كان هذا القول الجميل يرفع قيمتنا الذاتية فى نظر أنفسنا .. حتى كدنا نعتقد أن لنا رسالة

فوق رسالة العدالة .. هى أن نثبت للناس أن فى المجتمع طائفة محترمة لفضيلتها المجردة ، فى الوقت الذى أصبحت فيه المراتب والقيم تسعر بقدر الألوف .. وأصبح فيه لفظ الكبراء والعظماء مرادفا لعدد الأسهم والسندات وكراسى مجالس الشركات .. كان « راغب بك » حمدى يقول : « إذا استطعنا يا إخوانى أن نحافظ على احترامنا ونحتفظ بجلالنا وسط بحر الأوراق المالية الهائج المائج حولنا ، دون أن تغرق فيه رءوسنا ، فقد أثبتنا أن المثل العليا فى البلد لم تمت » !..

عبد البر باشا : وهل ثبت ذلك حقا؟!..أو أن الذى ثبت أنه هو الذى مات..دون أن يذكره بعدئذ أحد ؟!..

صالح بك : واأسفاه !..

عبد البر باشا : حتى أهله نسوا نزاهته ، وأنكروا استقامته ، وفضلوا لو أنه ترك لهم بدل مثله العالى بيتا .. وليكن غير عال .. من طابقين فقط . يدر عليهم من بعده رزقا !..

صالح بك : كل عظيم غريب بين أهله !..

عبد البر باشا : وقد جاءنى ابنه الأكبر بعد وفاته يسألنى الوساطة فى إيجاد وظيفة له ، فوفقنى الله فى إلحاقه بعمل فى إحدى الشركات !..

صالح بك : واجب .. واجب ..

عبد البر باشا : هذا كل ما بقى من خبره !..

صالح بك : ذكرى عاطرة .. ماذا كان يمكن أن يبقى خيرا من ذلك ؟!..

عبد البر باشا : كلماته قد ذهبت معه .. و لم يسمع بها الناس .. و لم تحتفظ بها حتى جدران حجرة المداولة !..

صالح بك : أنت الذى لم تحتفظ بها يا « عبد البر باشا » !.. لا تدعنى

أذكرك .. ألست أنت الذى كنت تؤيدها بتحمس .. ألست أنت الذى كنت تقول : إن الفضيلة الصادقة هى التى تنتصر على الإغراء الشديد !.. ألست أنت الذى كنت تردد : إن عيون النفوس الرفيعة لا تبهرها أضواء الثراء .. ألست أنت الذى كنت تؤكد أن أبواب الغنى لو فتحت لك على مصراعيها لما دخلت ، حتى لا تلتقى فى الداخل بأناس يعاف قربهم الضمير النقى ، ويأنف منهم الخلق السوى !..

عبد البر باشا : الزمن قد تغير يا « صالح بك » .. الزمن قد تغير ..

صالح بك : الزمن لا يتغير .. نحن الذين نتغير ..

عبد البر باشا : ألا تعترف معى أن المجتمع اليوم قد تطور وأن المادة هى الآن كل شىء ؟!..

صالح بك : ومن الذى جعل المادة كل شىء ؟.. أليسوا هم أولئك الذين قلت عنهم بالأمس إن الضمير النقى يعافهم وأن الخلق السوى يأنف منهم ؟!.. أليسوا هم أيضا هؤلاء الذين خانوا فكرتهم وتبعوهم واندمجوا فى زمرتهم !..

عبد البر باشا : لا تبالغ يا « صالح بك » .. لا تبالغ .. ليست هناك خيانة لفكرة أو تنكر لمبدأ .. ولكنه فهم لمطالب العيش فى المجتمع الحديث .

صالح بك : مطالب العيش تقتضيك أن تحصر كل فكرك ونشاطك وإيمانك واهتمامك فى تكديس مئات الألوف ؟!.. لا تؤاخذنى إذا أشرت إلى شئونك الخاصة .. كم يقدرون ثروتك الآن ؟.. قرأت مرة فى الصحف أنها لا تقل عن ستمائة ألف جنيه ..

عبد البر باشا : وما ستمائة ألف جنيه ؟!.. هل تعد هذا المبلغ فى وقتنا الحاضر

ثروة كبيرة ؟!..

صالح بك : أرأيت ؟.. لقد ولجت الباب الذى لا تدخله القناعة !..

عبد البر باشا : إذا عرفت دنيا المال والأعمال ، فإنك ستحكم من الفور أنى رجل فقير .

صالح بك : فقير بالنسبة إلى من جمع المليون .. فإذا صرت إلى المليون ، فأنت فقير بالنسبة إلى صاحب المليونين .. فإذا نلت فى يدك المليونين فأنت فقير بالنسبة إلى من فى يده ثلاثة ملايين .. وهلم جرا .. صعدًا فى الدرج .. بل خفضا فى السلم المؤدى إلى جحيم الجشع !..

عبد البر باشا : الجشع ؟!.. اسمح لى يا « صالح بك » أن أقول لك إنك تتكلم كلاما ساذجا فى موضوع لا تدرى عنه شيئا !..

صالح بك : لست فى حاجة إلى علم كثير لأرى الآن هدفك فى الحياة .. قرأت فى الصحف أخيرا أنك احتفلت بزواج ابنك من كريمة أحد كبار المقاولين وأصحاب المال والأعمال الذين يملكون نحو مليونين من الجنيهات !.. تريد أن تدعم ثراء بثراء !.. أهذا كله من مقتضيات مطالب العيش ؟!.. لو كان رغيف خبزك اليومى من الذهب الإبريز لما لزمك كل هذا المال .. لا .. ليست هى مطالب العيش .. ولكنه إيمان جديد .. إيمان جنونى بقوة هى عندك اليوم وعند أمثالك فوق كل القوى !..

عبد البر باشا : وهذا هو الواقع .. الواقع الذى لا تنكره إلا إذا أردت المكابرة .. أهناك قوة فى مجتمعنا اليوم ، غير قوة المال تستطيع بها أن تسمع صوتك وترفع قدرك ، وتبقى أثرك ؟!..

صالح بك : رحمة الله عليك يا « راغب حمدى » !.. أين أنت الآن ؟

لتسمع هذا الكلام ؟!.. أين أنت لترى زميلنا القديم قد لجأ هو أيضا آخر الأمر إلى « الجماد » ليرفع له قدره !..

عبد البر باشا : أو لم يرفع لى قدرى بالفعل ؟!؟..

صالح بك : (**مطرقا**) حقا ، مع الأسف الشديد !..

عبد البر باشا : هذا هو مجتمعنا الحديث !.. ومن سوء التدبير وقلة العقل أن يتجاهل الإنسان الوسط الذى يعيش فيه ، واللغة التى يفهمها أهله .. إن من يسبح ضد التيار يتعب ..

صالح بك : خلا أصحاب العضلات القوية !..

عبد البر باشا : ربما استطاعوا المقاومة قليلا .. ولكنهم فى آخر الأمر يهلكون !..

صالح بك : ولكن التيار يتحول !..

عبد البر باشا : أين رأيت هذه المعجزة ؟!..

صالح بك : فى البلاد التى يظهر فيها الأنبياء والمصلحون والمخلصون !..

عبد البر باشا : ليس هذا فى مصر على كل حال !..

صالح بك : ما أشد إيمانك ببلدك !..

عبد البر باشا : لأنى فهمت البلد تمام الفهم !..

صالح بك : بالضبط .. الفهم الذى لا يعرف غيره كل أولئك الذى دخلوا من ذلك الباب .. وصعدوا أو هبطوا سلم الألوف ودرج الملايين !..

(يدخل خادم يحمل صينية القهوة ، ويتقدم بها إلى « عبد البر باشا » .. فيتناول فنجانا .. ثم يتناول « صالح بك » فنجانا .. وينصرف الخادم ....)

عبد البر باشا : (**يأخذ رشفة من فنجانه**) لو كنت أعتقد يا « صالح بك »

أنك جاد فى كلامك هذا ، لما كنت أضعت وقتك ووقتى حتى الساعه !..

صالح بك : أو تشك فى أنى جاد ؟..

عبد البر باشا : بالطبع جاد ، كما نحن جادون جميعًا ، كلما تكلمنا فيما ينبغى أن يكون ، ولكن الأمانى شيء والكائن شيء آخر .. ورجل مثلك وثيق الصلة بالحياة السياسية والبرلمانية والاجتماعية والاقتصادية ، بحكم رياستك للجنة المالية لا يمكن أن تفوته حقائق الأمور .. كل ما فى الموضوع أنك لا تثق بى .. وأنك تعتقد أن العملية أضخم مما عرضته عليك ، وأن عمولتها لا بد أن تكون أهم .. وغلطتى أنى لم أحضر معى المستندات التى تثبت لك صحة ما عرضت !..

صالح بك : أهذا كل تعليلك للموقف ؟!..

عبد البر باشا : هو التعليل الوحيد .. ولا أصدق غيره .. أوَ يوجد اليوم من له الشجاعة أن يرفض مبلغًا كهذا فى عمل بسيط برىء كهذا ؟!.. ولكن الإنصاف يدعونى إلى عذرك .. فإن وضعك الأخير يحتم علينا أن ننظر إليه بعين الاعتبار .. وإنى أعدك وعدا أكيدًا أن هذا سيكون له وزنه وثمنه ..

صالح بك : وضعى الأخير ماذا تقصد ؟!..

عبد البر باشا : مسألة تعيينك .. الأمر لم يزل محاطًا بالكتمان .. ولكنى علمت من أوثق المصادر أن الحكومة رشحتك لعضوية مجلس إدارة شركة كبرى .. مكافأتها السنوية لا تقل عن ثمانيه آلاف جنيه !.. ألم يحدث هذا ؟..

صالح بك : (بهدوء) حدث فعلا !..

عبد البر باشا : هذا الخبر الذى جرأنى على زيارتك والتفكير فى العمل معك فلدينا شركات أخرى تحتاج إلى عونك وخبرتك .. صديقك وزير المالية هو الذى خدمك طبعا هذه الخدمة ؟!.. وإن كان بعض الخبثاء يهمسون بأن الحكومة أرادت بذلك أن تتخلص من شدتك المعروفة فى مجلس الشيوخ واللجنة المالية !...

صالح بك : لا أعرف الدوافع إلى هذا الترشيح .. ولكن الذى حدث هو أنى رشحت حقا ..

عبد البر باشا : وقدمت استقالتك من المجلس بالضرورة !..

صالح بك : لا !..

عبد البر باشا : ومتى تقدمها ؟..

صالح بك : لن أقدمها .. ولن أستقيل من المجلس .. لسبب بسيط وهو أنى رفضت الترشيح !..

عبد البر باشا : (**بدهشة**) ما هذا الكلام ؟..

صالح بك : الكلام الذى قلته لك منذ قليل .. و لم تأخذه مأخذ الجد ...

عبد البر باشا : ترفض عضوية هذه الشركة الكبيرة ؟!.. ما من شك فى أنك ترمى إلى مطمح أكبر من ذلك !..

صالح بك : (بهدوء) بالتأكيد .. أداء واجبى الحالى فى المجلس .. لا أكثر ولا أقل !..

عبد البر باشا : أيمكن تصديق هذا ؟!..

صالح بك : المسألة بسيطة جدًا .. انتظر وراقب وتربص .. فإذا وجدتنى تحولت عن موقفى وقبلت عرضًا أو استسلمت لإغـراء .. فاحضر إلى سريعًا وأنا أقبل منك فى الحال ربع ما تعرض على الآن .. هذا كل مالك عندى الساعة من قول فى هـذا

الموضوع !..

عبد البر باشا : (**يضع فنجان القهوة فوق المكتب وينهض**) متأسف لإزعاجك اليوم .. وأرجو أن تراجع نفسك قليلا فى أمر خطتك هذه .. فإن لأسرتك وأولادك عليك حقا .. هذا بلد لا يستحق التضحية .. لا تجعل مصيرك مثل مصير « راغب حمدى » .. لقد عاش فى الحرمان وذهب فى النسيان !..

صالح بك : لم يذهب فى النسيان .. لأنى أذكر قوله ، وأحتذى مثله ..

عبد البر باشا : وما نفع فرد واحد فى أمة ؟!..

صالح بك : البذرة الواحدة تنبت الغابة !.. سأذهب أنا أيضا .. ولكن شخصا — قد لا أعرفه — سيتلقى البذرة ، وتعيش فيه الفكرة .. ويقع فى يده المشعل .. وهكذا دواليك .. إن المثل الحى لا يموت .. إنه يعيش فى أشخاص جدد ، وحيوات متجددة ..

عبد البر باشا : (**مادا يده مصافحا**) إنى على كل حال سعيد بلقياك !..

صالح بك : (**يشيعه إلى الباب**) أشكر لك الزيارة !..

(**يخرجان .. ولا تلبث أن تطل « فاطمة هانم » برأسها من الباب الذى كانت قد خرجت منه .. فلما وجدت المكان خاليا دخلت ....**)

فاطمة هانم : الضيف خرج .. تعالى يا « علوية » !..

علوية : (**تظهر خلفها**) أقال لك يا « ماما » متى يحضر المبلغ ؟..

فاطمة هانم : لا .. لم يقل متى .. ولكنه قال إنه سيستبدل جزءا من معاشه ..

علوية : هذا إجراء طويل .. سيستغرق وقتا !..

فاطمة هانم : كلميه أنت فى ذلك بنفسك .. لقد تكلمت أنا بما فيه الكفاية .. ها هو ذا قد أقبل !..

(**يظهر « صالح بك » عائدا .. ويتجه توا إلى مكتبه ، شأن من ينوى استئناف عمله ...**)

علوية : « بابا » !..

صالح بك : (**دون أن يحول نظره عن مكتبه**) نعم يا ابنتى ..

علوية : لقد وعدتنى هذا الصباح أن تصغى إلى لحظة ..

صالح بك : أصغيت إلى أمك وتباحثنا فى مسألتك .. دبرنا الحل اللازم .

علوية : استبدال المعاش ؟!...

صالح بك : بمقدار المبلغ المطلوب ؟!.

علوية : ولكن هذا يستوجب إجراءات طويلة ... ولا بد لنا من أن نفرش سريعا ..

صالح بك : أظن الاستبدال النقدى لمثل هذه الظروف العائلية يتم عادة فى وقت قصير .. على أى حال سأقدم الطلب غدا إن شاء الله إلى الإدارة المختصة .. فلا تقلقى ..

فاطمة هانم : ألا تكلم فى ذلك الوزير .. وهو صديقك ؟!..

صالح بك : لا ..

فاطمة هانم : لمجرد التسهيل . ليس إلا !..

صالح بك : (**حاسما**) لا ..

علوية : ألا يمكن استدانة المبلغ بكمبيالة ؟..

فاطمة هانم : اقترحت هذا على أبيك ، ولكنه لم يقبل ..

علوية : و لم لا ؟.. هذه أسرع وسيلة ..

فاطمة هانم : ورجل مالى مثل « عبد البر باشا » الذى كان هنا الآن ، ما كان

يتردد ..

صالح بك : صه !.. صه !..

فاطمة هانم : صمتنا .. وتركنا لك الأمر !..

صالح بك : نعم .. اتركا لى الأمر !..

فاطمة هانم : أسمعت يا « علوية » ؟!.. صدقت الآن أن أباك فى سبيل تدبير أمر جهازك .. وأنه مهتم بذلك .. وأننا بحثنا المسألة فى غيبتك ، وانتهينا إلى هذا الحل الوحيد .. هلمى بنا إذن !.. دعى والدك لعمله .. لا ينبغى أن نأخذ من وقته أكثر من ذلك !..

علوية : بابا .. أأنت تحبنى حقا ؟..

صالح بك : ماذا تقولين ؟!...

علوية : هل تحبنى ؟.. وهل تهمك سعادتى ؟!..

صالح بك : أجننت يا « علوية » ؟!.. أهذا سؤال تلقينه على أبيك ؟!..

علوية : أريد أن أسمع من فمك الجواب !..

صالح بك : أوَلا تعرفين الجواب أنت ؟!..

علويه : أعرف أنى دائما عزيزة عليك .. أثيرة عندك .. منذ أن كنت طفلة ، وابتسامتى تشرق فى قلبك كأنها شمس ... ولطالما قلت لى إن متاعبك اليومية تختفى عند ما تقع عينك على وجهى .. وإن الطمأنينة تقر فى نفسك عندما تسمع صوتى .. إنى إذن شىء له قيمته عندك .. أليس كذلك ؟..

صالح بك : أتشكين فى ذلك ؟..

علوية : قيمتى تساوى كم فى حسابك ؟!..

صالح بك : عيب يا « علوية» ؟..

علوية : ألا تقدرها على الأقل بثمن فرش حجرتين أو ثلاث ؟!...

صالح بك : ألا تخجلين من هذا الكلام ؟!..

فاطمة هانم : ثقى يا « علوية » أن أباك لا يضن عليك بمال .. إنى أعرفه أكثر منك . لو كان فى يده شىء لأغدقه فى الحال عليك .. لكن رزقه محدود كما تعلمين .. لا يكاد يكفى لفتح هذا البيت البسيط .. اعذريه يا « علوية » اعذريه .. لو هبط على أبيك من المال ما يهبط على الآخرين لكان لنا شأن آخر !..

(يظهر فجأة شاب فى مقتبل العمر هو « عادل » يحمل فى يده صحيفة ....)

عادل : (**ملوحا بالصحيفة**) أقرأتهم هذا الخبر المنشور فى هذه الجريدة ؟!..

علوية : (**بلهفه**) أى خبر ؟!..

عادل : خبر ترشيح « بابا » لعضوية شركة كبيرة !..

علوية : (**تخطف منه الجريدة**) أرنى ... أرنى ...

عادل : مكافأتها السنوية ثمانية آلاف جنيه !..

فاطمة هانم : (**هاتفة**) ربك كريم !...

علوية : (**والجريدة فى يدها دون أن تقرأها أو تنظر فيها**) وافرحتاه !.. وافرحتاه !.. جاءنا الفرج .. سيكون لى أجمل جهاز !..

فاطمة هانم : يا للمفاجأة السارة !.. لن نعيش فى ضيق بعد اليوم !...

علوية : أول كل شىء لا بد لى من أثواب جديدة .. لقد خجلت من كثرة لبسى لأثواب الأعوام الماضية التى كنت أقلبها وأرتقها وأصبغها ..

فاطمة هانم : وأنا يا بنتى سأخلع هذا الثوب الأسود ، الذى ارتديه منذ عامين بحجة الحداد على عمتى .. والحقيقة أنى عاجزة عن تفصيل الجديد !..

علوية : إنى لم أرد أن أخبرك وأكدرك يا « ماما » بكلمات صديقاتى اللاذعة كلما رأيننى بثوبى القديم .. كن يقلن لى : نرجوك يا « علوية » .. عيوننا تعبت وسئمت من شكل « فستانك » الذى لا يتغير !.. الفصول تتغير ، والأفكار تتغير ، والدنيا تتغير .. ولبسك ثابت على المبدإ .. لا يتحول ولا يتغير !..

فاطمة هانم : الحمد لله انتهى كل هذا .. وكل شىء عندنا الآن سيتغير !..

علوية : (**تلتفت إلى أبيها المطرق**) لماذا تطرق هكذا يا بابا ؟.. لماذا لا تفرح مثلنا ؟..

فاطمة هانم : بل قولى له لماذا أخفى علينا هذا الخبر ؟.. أكان يجهله ؟.. أم كان يريد أن تفاجئنا به الصحف ؟!..

علوية : تكلم يا بابا .. أيصح أن تكتم مثل هذا الخبر السعيد عن أحب الناس إليك ؟.. أنت تعلم كم سيثير فى قلوبهم من ابتهاج ، وكم سيحدث فى حياتهم من انقلاب ؟!..

عادل : اقرئى يا « علوية » تفصيل الخبر أولا فى الجريدة التى فى يدك .. قبل أن تسترسلى فى الحماسة !..

علوية : (**تقرأ بسرعة متمتمة**) « رشحت الحكومة حضرة الشيخ المحترم « صالح بك زهدى » لعضوية مجلس إدارة شركة كبيرة معروفة مكافأتها السنوية تبلغ حوالى ثمانية آلاف جنيه .. وقد علمنا أن حضرته اعتذر من قبول هذا المنصب . » اعتذر ؟!.. (**تلتفت إلى أبيها بلهفة**) اعتذرت يا « بابا » ؟..

فاطمة هانم : (**مصدومة**) اعتذر ؟!..

علوية : بابا .. اعتذرت ؟!.. أحق هذا المنشور هنا ؟.. أصحيح هذا ؟!..

صالح بك : (**وهو مطرق**) صحيح !..

علوية : ولماذا تفعل ذلك ؟!..

صالح بك : فعلت وانتهى الأمر !..

فاطمة هانم : أغلقت بيديك فى وجهنا باب الرحمة ، الذى كان قد فتح !..

صالح بك : (**كالمخاطب نفسه**) بل أغلقت باب الجحيم !..

فاطمة هانم : (**صائحة ثائرة**) لماذا ؟.. لماذا يا « صالح » تفعل ذلك بنا ؟!.. نحن الذين سرنا معك هذا الشوط من الحياة فى عيش ضيق شاق .. تطرد عنا هذه النعمة المواتية ، وقد أتت فى حينها ؟!.. ثمانية آلاف جنيه فى العام !.. تصور ماذا كنا نستطيع أن نفعل بهذا المبلغ ؟.. أى حياة كنا نحياها .. وأى متعة كنا نظفر بها ؟!.. وأعزاؤك .. « عادل » و « علوية » .. أى بهجة كنت تدخلها على شبابهما الذى لم يعرف غير الشدة والشظف والحرمان !.. إنها القسوة منك على أهلك فائقة الحد .. لماذا كل هذا ؟.. فى نظير أى ثمن ؟! من أجل أن يقول الناس إنك مترفع عن المناصب ، متعفف عن المال ؟!.. تسومنا العذاب وتحملنا مالا نطيق فى سبيل أن تظفر بكلمات !..

صالح بك : (**كالمخاطب نفسه**) كلمات ؟!..

عادل : حتى هذه الكلمات لا يقولها الناس .. اقرءوا تعليق الجريدة !..

علوية : (**تنشر الجريدة**) ماذا فيها أيضًا ؟!..

عادل : طالعى يا « علوية » الأسطر الأخيرة من الخبر ...

علوية : (**تطالع بسرعة متمتمة**) « .. اعتذر من عدم قبول المنصب ... والمفهوم أن ذلك من قبيل المناورات والمساومات التى لا يفوت مرماها المطلعين على بواطن الأمور ، وعلى ما يجرى وراء الستار !..

صالح بك : (**مصدوما**) مساومات ومناورات ؟!.. أقالوا ذلك ؟!..

علوية : (**وهى تمد بالجريدة يدها**) بالحرف الواحد .. ها هى الجريدة يا « بابا » خذ واقرأ !..

فاطمة هانم : أرأيت يا « صالح » ؟!..

صالح بك : (**مطرقا بلا حراك**) كان يجب أن أتوقع هذا !.. كل مجتمع يصل إلى الانحلال يرى الانحطاط هو التعليل الطبيعى لكل التصرفات !..

فاطمة هانم : والنتيجة يا صالح ؟!.. ماذا جنيت من هذا الموقف ؟!.. أنت الآن كالراقص وسط السلم .. لم يرك من فى الأعلى ، ولم يلمحك من فى الأسفل .. ما صدق الناس أنك تربعت وتعففت .. وما قبضت المال ، ونفعت به ، وانتفعت !..

صالح بك : إذا كنت أرتدى العفة طمعًا فى تصفيق الناس فأنا دجال .. وإذا كنت أطرحها عند جحود الناس فأنا مزعزع العقيدة !..

علوية : اسمح لى يا « بابا » أن أقول لك إنك تصنع شيئا لم يسمع به أحد فى زمننا .. كل الناس من حولنا يسعون إلى رغد العيش ، ولا يفكرون إلا فى التنعم والترف .. كل صديقاتى يتحدثن عما أصاب أهلهن من أرباح ومغانم... وأنا أسمع فى حسرة .. وأقول عسى أن يصادف الحظ والدى ولو مرة . إنى لا أصدق أن رفضك نهائى !.. لعل الجريدة صادقة .. وأنت تخفى عنا ما

يجرى معك الآن من مفاوضات لتفاجئنا بالمغنم الأكبر والخبر الأهم .. أليس كذلك يا أبى ؟!.. قل .. لا تكتم عنى شيئًا .. أدخل الفرح على قلبى !.. اهمس فى أذنى أنا إن تعليق الجريدة صحيح .. وإن خلف الستار الآن عرضًا مغريًا لن يلبث حتى يصبح فى يدك !..

صالح بك : (**فى مرارة**) أنت التى تتحدثين هكذا يا علوية ؟!..

فاطمة هانم : اسكتى يا علوية لا تؤلمى أباك .. ليس هو الذى يساوم ويفاوض .. إنى أعرفه جيدًا .. أعرفه .. أعرفه !..

علوية : (**متوسلة**) بابا ..انظر إلى الدنيا من حولك .. انظر إلى الناس من حولك .. هذا هو تيار المجتمع اليوم !..

صالح بك : (**كالمخاطب نفسه**) لن يجرفنى هذا التيار !..

علوية : سنعيش إذن هكذا دائمًا .. لا أمل لنا فى غد بهيج .. ولا فى أيام ترف ..

فاطمة هانم : لا تتعبى نفسك يا « علوية » . لن يتغير من أمرنا شىء !..

صالح بك : (**كالمخاطب نفسه**) لن أغير عقيدتى ؛ كى تتغير أثواب أسرتى !...

عادل : انتظروا إلى آخر العام الدراسى .. وأنا أغير كل ما بكم .. ما إن أظفر بدبلوم الهندسة حتى تجدونى قد شققت طريق الثروة فى بضعة أعوام .. إنى أفهم بلدى وأعرف كيف أنجح .. عليك قبل كل شىء يا أمى أن تبحثى لى من الآن عن عروس بنت رجل ذى نفوذ أو ذى نقود .. وعلى أنا بعدئذ الباقى .. سأسدد بصرى إلى كبير أو عظيم ممن لا يأفل نجمهم فى السياسة أو الحكم ، فألتصق به . أضع له تصميم عزبته .. أو أشرف له على

ترميم « فلته » أو تشييد عمارته ، وأكون دائما فى خدمته شاء أو أبى .. بمناسبة وبغير مناسبة .. سيجدنى دائمًا تحت تصرفه ، ورهن إشارته ، وعد مرمى نظره ، فى كل وقت .. وفى كل ساعة ، فى المنزل وفى المكتب وفى النادى وفى الديوان .. فإن لم أقفز بسرعة البرق فى سلم الدرجات والعلاوات والترقيات ، ويمتلىء جيبى بالجنيهات ، فقولوا إن « عادل » لا خير فيه ولا نفع !..

صالح بك : (**مصدوما**) ابنى يفعل هذا ؟!..

عادل : (**بحماسة**) نعم .. وأقسم !..

صالح بك : (**ينهض خارجا من المكان وهو يهمس**) اللهم رفقا بى .. اللهم رفقا !.. رفقا !.. رفقًا !..

فاطمة هانم : إلى أين يا « صالح » ؟!.. تهرب منا ؟!..

عادل : تهرب منا يا أبى لأننا لسنا من رأيك ؟!..

علوية : كلنا يا « بابا » نخالفك فى الرأى .. لن تجد أحدا من الناس يوافقك فى هذا .. أو يتابعك ..

صالح بك : (**يخرج من أحد الأبواب ويغلقه فى وجوههم ويصيح بقوة :**) سأصمد وحدى .. سأصمد .. سأصمد !..

من وحي المجتمع والعلم الحديث

لو عرف الشبابُ

قصة تمثيلية فى أربعة فصول

الفصل الأول

(حجرة مكتب فى منزل « صديق باشا رفقى » باب صغير مفتوح يؤدى إلى حجرة نوم الباشا ، وباب آخر كبير يؤدى إلى البهو ، ومنه تظهر سيدة محترمه فى نحو الستين هى زوجة الباشا ، وخلفها « الدكتور طلعت » يحمل حقيبته الصغيرة ...)

الزوجة : تفضل يا دكتور !..

الدكتور : الباشا نائم ؟..

الزوجة : (**تتجه إلى باب حجرة النوم وتلقى نظرة**) .. طبعا لا .. إنه بالتأكيد الآن فى الحمام .. منذ ساعة على الأقل .. أتستطيع الانتظار ؟..

الدكتور : (**ينظر فى ساعته**) سأنتظر .. لم يحن بعد موعد إلقاء محاضرتى فى الكلية .. ولا بد من إعطائه حقنة « الأنجيوكسيل » .

الزوجة : ضد الذبحة الصدرية .

الدكتور : نعم .. حتى لا تعود إليه الأزمة على نحو خطر .. فى مثل سنه ينبغى اتخاذ منتهى الحيطة .. لكن .. ماذا هو يصنع فى الحمام منذ ساعة ؟..

الزوجة : الخضاب .. اليوم موعد صبغ شاربه بالصبغة التى يزعم أنها مضمونة ..وهى لا تضمن إلا لمدة أسبوع .. الآن ستراه خارجا إليك برأس أبيض فى لون الكتان ، وشارب أسود فى لون الفحم !..

(تظهر فتاة فى نحو العشرين هى « نبيلة » ابنة الباشا وهى تصيح بأمها ...)

نبيلة : « ماما » ... الخياطة حضرت بالفساتين .. (**تلتفت إلى الدكتور**) بونجور يا « دكتور طلعت » !..

الدكتور : بونجور يا « آنسة نبيلة » .. متى نهنىء ؟..

نبيلة : تهنىء بماذا ؟..

الدكتور : بالقران السعيد !..

نبيلة : القران السعيد ؟.. بالنسبة إلى من ؟.. لست أراه سعيدا على الإطلاق !..

الزوجة : لا تقولى ذلك يا نبيلة .. خطيبك « مدحت » من خيرة الشباب وقد قبل أخيرا فى بعثة وزارة الأشغال ، وسيسافر بك إلى « إنجلترا » بعد إتمام العقد !.

نبيلة : لست أقصد « مدحت » ولا غيره .. إنما أقصد الزواج على وجه العموم ، و « الدكتور طلعت » خير من يعرف !..

الدكتور : أعرف ماذا ؟..

نبيلة : الحياة الزوجية .. هل أنت سعيد فى زواجك ؟..

الدكتور : طبعا !..

نبيلة : (**باسمة**) تكلم بحرية .. «لطفية» ليست معنا الآن ...

الدكتور : إنى أتكلم بكل حرية وصراحة .. حياتى الزوجية ليس فيها ما يتعارض مع السعادة !..

نبيلة : أهذا أيضا رأى «لطفية» ؟..

الدكتور : أهى قالت لك شيئا ؟..

نبيلة : لم تقل شيئا خطيرا ، ولكنها مع ذلك تشكولى دائما من عملك

وبحوثك ومعملك وأرانبك .. إنك تذكر كل شيء وتنسى أن لك زوجة لم تبلغ الثلاثين .. بل إنك تنسى أحيانا كثيرة أنك أنت نفسك لم تجاوز الخامسة والثلاثين ، فيتخذ وجهك فى البيت لون الجد الصارم ، فلا ضحكة .. ولا فرحة .. بل نظرة لاهية مفكرة إلى الفضاء من خلف منظارك .. كأنك مكلف أن تقلب الكون .. أو أن تحمل على كاهلك كل ما فى الدنيا من علم وطب ..

الدكتور : أهي قالت لك إنها غير سعيدة ؟!..

الزوجة : لم تقل لها شيئا يا « دكتور » .. صدقنى أنا .. إنى أعرف بنتى .. إنها هى التى تتوهم الزوج بهذه الصورة .. دعك من هذا الكلام يا « نبيلة » واذهبى إلى أبيك وأخبريه أن الدكتور موجود !..

نبيلة : (**تتجه إلى حجرة النوم**) أليس فى حجرته ؟..

الزوجة : فى الحمام !..

نبيلة : (**تدخل الحجرة وتطرق باب الحمام الذى فى داخلها**) « بابا » .. « بابا » !.. « الدكتور طلعت » حضر !..

صوت : (**عميق من الداخل**) لحظة واحدة ..

نبيلة : (**تظهر خارجة من حجرة النوم**) سيخرج حالا ..

الزوجة : (**لابنتها**) هيا بنا نحن إلى الخياطة .. تسمح لنا يا دكتور !..

(**تخرج الزوجة والابنة .. ويبقى الدكتور فيفتح الحقيبة الصغيرة ، ويضعها فوق المكتب ، ويخرج منها الحقنة ويأخذ فى التأهب لعمله .. وعندئذ يسمع فتح باب الحمام الداخلى .. ثم لا يلبث الباشا أن يظهر بشعره الأبيض . دون**

أثر لصبغة أو خضاب ..)

الباشا : أهلا وسهلا بالدكتور طلعت !.. أنت هنا منذ وقت طويل ؟..

الدكتور : (**وهو يحدق فيه**) لا !..

الباشا : لماذا تنظر إلى هكذا ؟..

الدكتور : الباشا لم يصبغ .

الباشا : أصبغ ؟.. من قال لك ذلك ؟.. الست ؟.. هى التى تراقبنى هذه المراقبة العسيرة !.. لا .. كنت أحلق ذقنى .. فقط .. أما الخضاب فلعنة الله عليه .. لم يعد يأتى بنتيجة .. ما من شى يا ابنى يستطيع أن يخفى أثر الثمانين .. إنى بالطبع لم أبلغ الثمانين بعد !..

الدكتور : المهم الصحة يا « باشا » أرجو أن تكون الحقن قد أفادت !..

الباشا : أفادت أو لم تفد .. وهل يصلح الدكتور ما أفسد الدهر ؟!..
(**يرتمى فى مقعد متهالكا** ...)

الدكتور : (**وهو يفتح قارورة الحقنة**) من يدرى يا باشا ؟.. ربما أصبح ذلك فى الإمكان غدا .. إن العلم فى تقدم مستمر ..

الباشا : عندما يستطيع العلم أن يرد إلى مثلى بعض الشباب ، أوصه من فضلك أن يأتى ليقابلنى ..

الدكتور : لا تسخر من العلم يا باشا .. إنه قد يقبل التحدى ويأتى بالفعل ليقابلك !..

الباشا : متى ؟.. متى ؟..

الدكتور : أسرع مما تتصور ..

الباشا : جائز .. كل شىء جائز فى هذا العصر الذى نعيش فيه ولكن الذى لا شك فيه هو أنه يوم يأتى أكون أنا قد ذهبت ..

الدكتور : أغلب ظنى أنك لن تكون قد ذهبت .. بل تكون فى انتظاره ..

الباشا : فى انتظاره !.. من يسمع كلامك يعتقد أنه الآن يقترب من عتبة الباب .. وأنه بعد قليل يقرع الجرس ..

الدكتور : ماذا تفعل لو حدث ذلك ؟...

الباشا : حدث ماذا ؟...

الدكتور : حدث أن عاد إليك شبابك ؟..

الباشا : ما هذا السؤال ؟...

الدكتور : أيهمك حقا يا « باشا أن يعود إليك شبابك اليوم ؟!..

الباشا : يهمنى ؟!.. يهمنى فقط !؟.. إنك تلقى السؤال بكل بساطة كما لو كنت تقول « أيهمك أن تقرأ صحف الأمس ؟ .. ولكنك معذور يا ابنى .. معذور .. صدق من قال : آه لو عرف الشباب !..

الدكتور : عرف ماذا ؟..

الباشا : عرف أهمية ما يملك .. يوم كنت فى مثل سنك ، كنت أنفق شبابى بغير حساب .. كأنما هو شىء لا يمكن أن ينفد أو ينقص أو يزول .. واأسفاه !..

الدكتور : إنك على كل حال أنفقته يا باشا فى خير ما ينفق فيه .. أنفقته فى العمل وفى الحب وفى المتعة وفى الخدمة العامة ، كلنا يعرف تاريخ شبابك .. كنت وزيرا ولم تبلغ الأربعين .. وكنت معبود النساء ، على الرغم مما كانت فيه نساء مصر يومئذ من حجاب .. لم يزل جيلنا الحديث يذكر قصة ذلك الحب العجيب بينك وبين بنت أحد زملائك .. ذلك الحب الذى انقلب مأساة يوم كشف زوجها الأمر .. فلم تجد هى بدا من

الانتحار .. و لم تجد أنت بدا من السير فى جنازتها إلى جانب أبيها .. والناس من حولك يهمسون : يالها من جرأة !..

الباشا : اسكت يا ابنى .. اسكت يا « طلعت » .. لا تذكرنى .. لا تذكرنى .. حقا .. كانت جرأة !.. لكنه الشباب !..

الدكتور : (**ناظرا إليه بعجب**) لكأنك تنطق كلمة سحرية !.. أنا شخصيا لست أجد لها سحرًا .. صدقنى يا « باشا ».. لو خيرت فى أن أعود عشرة أعوام إلى الوراء لما رضيت .. بل إنى أحيانا أتمنى فى سوالفى متعجلا بضع شعرات بيضاء .. تكسبنى على الأقل وقار العلماء .. وتجعلهم فى بلادنا يصغون إلى رأيى .. ويصدقون بعض ما أقول ..

الباشا : (**يتأمل شعر الدكتور الفاحم**) بضع شعرات بيضاء !..

الدكتور : إنى فى نظرك مغفل !!..

الباشا : آه .. لو كان فى المقدور أن أعطيك مما عندى .. وأن تعطينى مما عندك !..

الدكتور : (**باندفاع كالمخاطب نفسه**) ربما كان فى مقدورى أنا أن أعطيك مما عندى ..

الباشا : ماذا تقول ؟..

الدكتور : (**يتنبه**) لا .. لا شيء .. هلم بنا يا « باشا » .. لقد أضعت وقتك فى حديث فارغ .. إلى الحقنة .. إلى الحقنة !..

الباشا : قلت الآن إن فى مقدورك أن تعطينى .. ماذا ؟..

الدكتور : الحقنة .. أقصد هذه الحقنة ..

الباشا : لا .. لا .. لم يكن هذا قصدك .. إنى شيخ عرك الدهر .. أستشف من نبرات صوتك .. وأفهم ما بطن من عبارتك ..

يا « طلعت » ماذا كنت تريد أن تقول ؟..

الدكتور : أتظن يا باشا أن فى استطاعتى أن أعطيك شيئا أكثر من حقنة « الأنجيوكسيل » ؟..

الباشا : (**فى يأس**) أف .. صدقت .. قاتل الله الوهم !.. هلم بنا !..

الدكتور : (**ناظرا إليه طويلا فى شفقة**) لا تيأس يا باشا .. هناك أمل على كل حال .. تشجع واملأ قلبك بالأمل !..

الباشا : الأمل ؟!.. فى ماذا ؟..

الدكتور : فى .. فى أن يكشف العلم قريبًا عن عقار من العقاقير أو كما يقولون ، عن أكسير يجدد الخلايا ، ويرجع المسن بضع سنوات إلى الوراء ... إنى كما تعلم يا باشا مختص فى البيولوجيا .. وأقضى أغلب وقتى فى بحوث تتصل بهذه المسائل .. فمن يدرى ؟.. من يدرى ؟..

الباشا : أذكر أنك قلت لى عرضا ذات مرة أنك فى بعثتك الأخيرة إلى أمريكا أجريت بحوثًا خطيرة بمشاركة أستاذك فى جامعة .. جامعة ..

الدكتور : « روشستر » !..

الباشا : نعم .. ولكنك ما أخبرتنى قط عن طبيعة هذه البحوث ولا الغرض منها . وكلما سألتك راوغت !..

الدكتور : لم أراوغ .. ولكنى تجنبت الخوض فى بحوث لم أكن فى حل من الحديث فيها .. فقد كنا اتفقنا أنا وأستاذى الأمريكى على كتمان هذه الأبحاث .. وهو على قيد الحياة ..

الباشا : أهو قد مات ؟..

الدكتور : منذ شهر واحد .. بإشعاعات الذرة ، فى أغلب ظنى ، فقد

كان كثير الاتصال بها .. مات مع الأسف فى اليوم الذى كنت موشكا فيه أن أبلغه نجاح تجربة عجيبة ، كان سيسر لها أيما سرور !..

الباشا : لا أريد أن أستفسرك ولا أن أستدرجك .. احفظ سر عملك .. ولكن إذا بدا لك أن تطلعنى على أمر فثق أنى كتوم كالقبر ..

الدكتور : إنك تعرف يا باشا مبلغ احترامى لك وتقديرى لشخصك .. وليس عندى الآن ما يمنع من أن أفضى إليك ببعض عملى .. وأن أرى رأيك فيما انتويته من تصرف .. أبحاثنا أنا والأستاذ الأمريكى تقوم على فكرة بسيطة .. هى أن تركيبنا الآدمى ما دام قائما على خلايا حية ، فهو لا يمكن أن يستهلك كما تستهلك السيارة مثلا .. بل يتجدد كلما أمكن تجديد الخلايا .. ولكن كيف يمكن تجديدها ؟.. هنا استطعنا بفضل الاكتشافات الحديثة التى أجريت على الذرة .. وبفضل دراسة الإشعاعات الكونية وخواصها أن نكشف عن سر تجديد الخلايا مهما يصبها من هرم .. لكن بقى الأمر الأصعب وهو كيف نستطيع عمليًا أن نباشر هذا التجديد ؟.. هذا هو الجانب الذى اضطلعت به وحدى .. واستطعت أخيرا أن أتوصل بطريق الحقن البسيط بمادة معينة أن أعيد الشباب إلى أرنب عتيق !..

الباشا : أعدت إليه شبابه ؟..

الدكتور : فى أقل من دقيقة .. نعم .. بعد أن تم حقنه بتلك المادة ، ظهرت على جسمه الهرم تحولات سريعة .. لم تصدقها عينى .. فإذا هو أرنب شاب فتى .. لا فرق بينه على الإطلاق وبين غيره من الأرانب صغيرة السن .

الباشا : ياللعجب !..

الدكتور : (**يخرج زجاجة متوسطة الحجم من حقيبته الصغيرة**) هذه هى المادة العجيبة .. ولقد أجريت هذه التجربة نفسها على عدد كبير من الأرانب الهرمة ، فكانت النتيجة واحدة .. كلها عادت إلى الشباب . ولم أكتف بذلك ، بل طلبت أن تذبح وتطبخ إلى جانب أرانب صغيرة السن .. وأكلت من هذه ومن تلك . فلم أجد فرقا على الإطلاق .. وصرت أكرر هذا الطعام ، حتى سئمت منه زوجتى .. وجعلت أسأل الطباخ عن الوقت الذى يستغرقه إنضاج هذه الأرانب .. فكان جوابه أنها كلها تستغرق عين الوقت .. فهى عنده كلها إذن صغيرة السن !..

الباشا : (**يطيل النظر إلى الزجاجة كالحالم**) أمر مدهش .. مدهش ..

الدكتور : من غير شك .. إنها نتيجة لم أكن أتوقعها بهذه السرعة .. لقد حالفنى حسن الحظ !.. هذا كل ما أستطيع تعليله ...

الباشا : (**مادا يده**) هذه الزجاجة ؟!..

الدكتور : نعم !..

الباشا : وهذه التجربة ؟.. هذه التجربة ..

الدكتور : ماذا ؟..

الباشا : ألم .. تعلنها ؟..

الدكتور : أعلنها ؟.. أأنا مجنون ؟!.. إنى لم أخبر أحدا بأمرها إلا أنت الآن .. أنسيت يا باشا أننا فى مصر ؟!.. لماذا أخلق لنفسى أعداء وخصومًا وحسادا فى طرفه عين ؟!.. أيستطيع رجل نافع أن يظهر فى بلادنا ، دون أن تتألب عليه الحشرات السامة ، وتتحالف على مجهوده العناصر التافهة بكل مالديها من وسائل

وأساليب وقوى .. مجتمعنا الحاضر للأسف لا تعيش فيه غير الوصولية والتهريج والدجل .. وأنا رجل كل ما أحتاج إليه فى بحوثى هو أن أختفى خلف العمل .. فإذا وصلت إلى شىء فيجب أن أحيطه بسياج الكتمان .. إلا عن أهل العلم المختصين ، لنتشاور فى نتائجه .. كل ما عولت عليه الآن هو السفر فى إجازة الصيف إلى أمريكا لأعرض هذه التجارب على زميل آخر لى فى جامعة روشستر ، من المشتغلين بمسألة تجديد الخلايا ..

الباشا : هذه الزجاجة .. إنى عن قرب .. هذه الزجاجة .. (**يخرج منظاره ويضعه على عينيه**) .

الدكتور : (**يدنيها من نظر الباشا**) سائل لا لون له ..

الباشا : (**كالحالم**) نعم .. ولكنه يلون الحياة بأزهى الألوان ...

الدكتور : هذا صحيح ..

الباشا : (**بصوت متهدج**) ألم تجرى التجربة على .. على .. على ..

الدكتور : على ماذا ؟..

الباشا : على شخص آدمى ..

الدكتور : شخص آدمى ؟!.. لا .. لا بالطبع ..

الباشا : ولم لا ؟..

الدكتور : ليس من حقى أن أفعل ذلك .. ليس من حقى أن ألعب بحياة بشرية .. وأعرضها لضرر محتمل الوقوع ..

الباشا : ولماذا لا تفكر فى الاحتمال الآخر .. أليس من الجائز أن تنجح التجربة .. فتسدى بذلك إلى إنسان .. إنسان قريب من الفناء .. أعظم خير يمكن أن يعطى لبشر ؟!..

الدكتور : هذا محتمل أيضا .. ولكن يكفى مجرد شبهة .. أو شك بسيط فى

النجاح ، لأضن بأى حياة آدمية .. هذا واجبى .

الباشا : وإذا توسلت إليك أنا أن تجرى هذه التجربة ؟

الدكتور : على من ؟..

الباشا : على شخصى .

الدكتور : شخصك أنت .. أنت يا باشا ؟.. مستحيل ..

الباشا : ما الذى تخشاه ؟.. تخشى أن تخفق التجربة .. وأن تقضى على حياتى .. هذه الحياة التى لم يبق منها غير ثمالتها .. خير لى أن تقضى على حياتى التجربة من أن تقضى على حياتى الذبحة الصدرية ...

الدكتور : لا .. لا .. هذه جريمة .. لا تطلب منى يا باشا أن أرتكب جريمة ..

الباشا : إنى أطلب منك أن ترجعنى بضع سنوات إلى الوراء .. إنى أطلب منك أن تعطينى بعض ما أعطيته للأرانب !.. أتقبل أن ترد الشباب إلى أرنب .. وترفض أن ترد الشباب إلى صديق باشا رفقى !..

الدكتور : مستحيل يا باشا .. مستحيل .. هذه مسئولية خطيرة .. هذا عمل خطير .. لا أستطيع أن أحدث مثل هذه التجربة فى شخصية كبيرة مثلك .. لا تزال البلاد تنتفع بخدماتها ..

الباشا : خدماتى ؟!.. أفى مقدور هذه الصحة المهدمة أن تؤدى إلى البلاد خدمات !.. حتى مجلس الشيوخ الذى أتشرف بعضويته لم أعد أقوى على حضور جلساته بانتظام .. لا يادكتور .. اطرح عنك هذا التردد والجبن .. وأقدم على هذه التجربة .. إذا أردت أن تجعل منى حقا أداة صالحة نافعة .. وأن تخطو باكتشافك خطوة

حاسمة باهرة .

الدكتور : (**مفكرا**) خطوة حاسمة باهرة !.. حقا إنها لتجربة عملية من الطراز الأول .. ولكن .. ولكن ..

الباشا : لا تقل لكن .. أقدم . أقدم . انتهز الفرصة . كن جريئا يا ابنى . أشيخ متهدم مثلى يعلمك الجرأة ؟ هلم بنا . املأ حقنتك من هذه الزجاجة واتبعنى . (**ينهض ويشير إلى حجرة نومه**) سأخلع سترتى وأنتظرك فى حجرتى .

الدكتور : (**كالمخاطب نفسه**) لا .. لا .. لا هذا شيء خطير .. خطير ..

الباشا : ما بالك جمدت كالتمثال .. أقدم على هذه التجربة يا طلعت .. قد تأتى بمعجزة .. لم يكن ليحلم بها إنسان ..

الدكتور : حقا .. إذا نجحت ولكن ..

الباشا : لا تفكر فى شيء إلا فى النجاح .

الدكتور : قد لا يقوى قلبك على صدمة التحولات المفاجئة .

الباشا : ولماذا لا تتوقع عكس ذلك .. فترى السائل العجيب قد جدد خلايا القلب فيما جدد ، فلم يفاجأ بأى صدمة ؟!.

الدكتور : (**حائرًا**) محتمل .. كل شيء محتمل .. ولكن هذا لا يبيح لى ..

الباشا : أنا الذى يبيح لك .. بل يطلب إليك .. بل يأمرك .. إنها ليست حياتك أنت .. إنها حياتى أنا .. وأنا حر التصرف فيها كيفما أشاء .. إنى . أعرف أن نهايتى قد دنت . وقد رتبت أمورى على هذا الأساس وكتبت لابنتى وزوجتى ممتلكاتى ، حتى لا يؤول منها شيء إلى إخوتى العديدين ! وأكثرهم يتمنون موتى منذ زمن طويل .. وصلتى تكاد تكون مقطوعة بالكثيرين منهم .. ففيم

خوفك إذن وترددك ؟.. إذا لم تنجح التجربة فسيقال « مات بالذبحة الصدرية كما هو متوقع » وإذا نجحت فهو انتصار لك وللبشرية ، سيخلده لك التاريخ ...

الدكتور : (**كالمخاطب نفسه**) انتصار !.. وأى انتصار ..

الباشا : نعم .. أقدم يا طلعت .. ليس فى إقدامك أى ضرر لى أو لك .. إنها كما قلت لك فرصة .. انتهزها .. لن تظفر بمثلها كل يوم ..

الدكتور : فرصة .. نعم فرصة لن تعوض .. أعرف ذلك ..

الباشا : (**يجذبه من يده**) هلم بنا إذن ..

الدكتور : ضميرى يا باشا .. ضميرى ..

الباشا : ضميرك ؟.. ما هو هذا الضمير ؟.. أأنت من أولئك الذى يصغون إلى كلام هذا الثرثار ؟!. صوت هدفك يجب أن يعلو على صوت ضميرك .. هيا بنا .. لا تضع وقتك فى الترهات .. احمل حقيبتك وزجاجتك .. واتبعنى ..

الدكتور : (**يحمل حقيبته وزجاجته**) اللهم عونك !.

الباشا : نعم .. استعن بالله .. وتشجع ..

الدكتور : ألا تراجع نفسك يا باشا قليلا ..

الباشا : أنا ؟.. أتظننى أجبن فى اللحظة الأخيره .. إنك لا تعرفنى إذن ؟..

الدكتور : كل الناس تعرف يا باشا أنك دائما رجل شجاع .

الباشا : إلى الأمام إذن .. إلى القبر .. أو إلى الحياة ..

(يمسك بيد الدكتور ويقوده إلى حجرة النوم .. ويغلق الباب الصغير خلفهما ... وتمضى لحظة ولحظة والمسرح فارغ غارق فى صمت إلا من صوت موسيقى خفية شعبية كأنها منبعثة من

عالم آخر .. وأخيرًا ..يفتح الباب المغلق ويظهر الدكتور وحده خارجا يتصبب جبينه بالعرق وهو يمسح وجهه بمنديله ويرتمى فى مقعد متهالكا غائب اللب .)

الدكتور : (**مخاطبا نفسه**) إلهى .. ماذا فعلت ؟!.. ماذا فعلت ؟!..
(**يضع رأسه فى كفيه لحظة .. ثم يعود فيرفع رأسه وينهض فجأة وينظر فى ساعته ثم يقترب من باب حجرة النوم ، ويلقى نظرة .. ثم ينادى**) باشا .. يا باشا .. لا مجيب .. مات الرجل .. (**يعود فيرتمى فى المقعد من جديد يائسًا**) كيف أطيع هذا الشيخ .. وأفعل هذه الفعلة .. لن يفيق من إغمائه .. لن ينجو .. إنى قاتل .. لقد قتلته ..
(**يعض أنامله .. ثم يفرك كفيه بحالة عصبية .. ثم يضع رأسه بين يديه ويخفى وجهه .. وعندئذ يسمع فجأة حركة داخل حجرة النوم ، فيرفع رأسه بسرعة .)**

الدكتور : (**بأمل**) باشا .. أفقت ؟.. باشا ..
(**عندئذ يظهر الباشا على عتبة باب حجرته كالمترنح يفرك عينيه كالمستيقظ من نوم عميق .. ولكنه ليس الباشا الذى ذهب منذ قليل .. بل شاب فى نحو الخامسة والعشرين أسود الشعر ، وسيم الهيئة جميل المحيا ...)**

الباشا : (**يتثاءب**) يخيل إلى أنى نمت دهرا !..

الدكتور : (**ينظر إلى الباشا الشاب ويصيح مذهولا**) يا قوة الله !..

الباشا : ماذا ؟.. ماذا فى شكلى يدهشك ؟!..

الدكتور : مستحيل !.. مستحيل !.. أيمكن أن يحدث هذا ؟! إنى واهم .. إنى مجنون .. إنى أحلم ..

الباشا : تحلم ؟!..

الدكتور : مؤكد .. هو حلم .. لا يمكن أن يكون ما أرى الآن حقيقة .. لا يمكن أن تكون أنت الباشا .. (**بقوة**) من حضرتك ؟..

الباشا : من حضرتى .. ماذا جرى لعقلك يا دكتور طلعت ؟.. ألا تعرفنى ؟..

الدكتور : وحضرتك تعرفنى ؟..

الباشا : ما هذا الكلام ؟.. كيف لا أعرفك يا طلعت ، وقد دخلنا معًا منذ قليل هذه الحجرة وأعطيتنى الحقنة المدهشة .. هأنذا أمامك حى .. فى صحة لم أعرفها فى جسمى منذ أمد طويل ..

الدكتور : (**وهو يحملق فيه**) شىء عجيب !..

الباشا : طبعًا شىء فى منتهى العجب .. ماذا وضعت فى شرايينى يا دكتور .. أحس دمى يجرى حارا كالنار أو كالخمر ..

الدكتور : (**محملقًا فيه مشدوها**) وبماذا تشعر أيضًا ؟..

الباشا : بنشاط .. (**يحرك عضلاته**) نشاط يهد الجبال .. بى رغبة فى أن أقفز إلى الحديقة من هذه النافذة .. وأن أجرى فى الطرقات .. وأن أتسلق عربات الترام والأتوبيسات !..

الدكتور : مؤكد .. لأنك فى الخامسة والعشرين .. إنك يا باشا فى الخامسة والعشرين من العمر !..

الباشا : وأنت الذى كنت تتردد فى إعطائى الحقنة .. آمنت الآن أنى أنا الذى كنت على حق . صدق من قال : ما فاز باللذة غير الجسور .. على ذكر اللذة يا دكتور .. إنى جائع .. أريد أن آكل ضلع خروف بمفردى ألا ترى أنى أستطيع أن آكل ذلك ؟.. أما الحلو فطبق كنافة باللوز والصنبير .. وطبق

عيش سراية بالقشدة ..

الدكتور : (**وهو لم يزل مذهولا**) طبعًا تأكل ذلك .. أنت فى الخامسة والعشرين .. أنت فى ربيع الحياة .. إنى غير مصدق لما أرى .. هذه إذن المعجزة .. هذا اكتشاف سيقلب الكون .. إنى سأجن .

الباشا : هدىء روعك يا طلعت .. إنك قد انتصرت .. بدون شك .. واكتشافك هذا يستطيع أن يجعلك من أصحاب الملايين ..

الدكتور : لا تهمنى الآن الملايين .. يهمنى عقلى .. أهذا ممكن أن يحدث ..

الباشا : لقد حدث .. ويسعدنى أن أكون أول من يهنئك يا طلعت يا ابنى ...

الدكتور : ابنك ؟! أنا ابنك ؟!..

الباشا : طبعا .. فى كل وقت أنا أعتبرك مثل ابنى ..

الدكتور : (**يمسك يد الباشا**) تعال تعال .. أين المرآة ؟.. إنك لم تبصر وجهك ولا منظرك .. (**يقوده إلى مرآة كبيرة فوق المدفأة**) انظر .. تأمل نفسك جيدًا ..

الباشا : (**يجفل مأخوذًا**) يا قوة الله !..

الدكتور : أرأيت ؟.. ليست المسألة مجرد صحة ودم حار ونشاط .. ولكن الشكل نفسه . إنك لم تعد الباشا .. إنك لست أكثر من طالب فى السنة النهائية بالجامعة .. أو على أكثر تقدير شاب تخرج حديثًا بعد أن نال البكالوريوس ..

الباشا : (**يتأمل نفسه مشدوها**) البكالوريوس !..

(**يسمع فى الخارج صوت نبيلة ابنة الباشا تصيح**) ..

نبيلة : (**من الخارج منادية**) بابا ..

الباشا : (**يفيق ويفطن للموقف**) بتى !..

الدكتور : نعم .. ياللمشكلة !

الباشا : (**بسرعة حائرًا**) والعمل !..

نبيلة : (**تدخل بثوب جديد**) بابا .. ما رأيك فى فستانى الجديد ؟. (**تنظر فى المكان باحثة**) أين بابا؟.. أين الباشا يا دكتور طلعت ؟..

الدكتور : (**حائرًا**) الباشا ..

نبيلة : (**تتجه إلى حجرة النوم**) فى حجرته .. لا .. ليس فى حجرته .. فى الحمام إذن . (**تذهب داخل الحجرة متجهة إلى الحمام صائحة**) بابا . بابا ؟.

الباشا : (**ناظرًا إلى الدكتور هامسًا**) والعمل الآن !؟

الدكتور : (**يلمح نبيلة عائدة فيهمس ويشير للباشا يائسًا**) هس !..

نبيلة : (**تظهر**) بابا ليس فى الحمام .. (**تلتفت إلى الباشا**) من حضرته ؟.

الدكتور : (**فى حيرة**) حضرته .. حضرته ...

نبيلة : أحد تلاميذك ؟...

الدكتور : تقريبًا ..

نبيلة : عرفت ذلك من هيئته .. شاب خجول ..

الباشا : (**فى حيرة**) أنا ..

نبيلة : (**مازحة**) لا تقل شيئًا .. طلبة الطب لا يعرفون أن يتكلموا إلا فى التشريح والبنج والمكروسكوب ..

الباشا : أنا لست طالب طب .

نبيلة : طالب ماذا إذن ؟.

الباشا : حقوق ...

نبيلة : هذا أحسن بكثير .. على الأقل عندى .. لأن فكرتى عن الأطباء أنهم من أردأ الأزواج . أليس كذلك يا دكتور طلعت !..

الدكتور : (**شارد اللب**) أفندم ؟!.

نبيلة : أرأيت ؟.. سابح فى أبحاثك ؟.. معذورة لطيفة معك !.. (**تلتفت إلى الباشا**) إياك أن تقلده أنت فى هذا .. إذا أردت أن تتزوج يوما فتاة لا تسعدك وتسعدبك !..

الباشا : (**كالمخاطب نفسه**) أتزوج فتاة ؟!..

نبيلة : ليس الآن بالطبع .. إنك لم تزل صغير السن .. صغير المركز الاجتماعى .. هل التحقت بعمل ؟!..

الباشا : (**ينظر إلى الدكتور حائرًا**) عمل ؟... أنا ..

نبيلة : لا تخجل .. إذا كنت تريد أن تشق طريقك فى الحياة فاطرح عنك الحياء .. أن صدقت فراستى فأنت جئت الآن تطلب وساطة الباشا ليعينك فى إحدى الوظائف .. أليس كذلك ؟..

الباشا : (**مستسلمًا**) أمرك ..

نبيلة : الدكتور طبعًا هو القائم بأمر تقديمك إلى بابا ...

الباشا : (**فى تردد وارتباك**) أظن ..

نبيلة : هذه أول مرة تقابل فيها بابا ؟!..

الباشا : (**مرتبكا**) أظن .. أقصد ..

نبيلة : (**وهى تتحرك للانصراف**) أنصحك أن تكون مع أبى أكثر صراحة . لأنه يحب دائمًا الرجل الشجاع الفصيح الصريح ..

(**الباشا والدكتور يتبادلان النظرات الحائرة .. ولا يدريان**

ماذا يقولان ولا ماذا يفعلان ....)

نبيلة : (**تعود ملتفته إليهما**) لم تخبرانى .. أين أبى ؟!.. هل رأيتماه ؟.. هل رأيته يا دكتور ؟..

الدكتور : طبعًا .. طبعًا ..

نبيلة : (**تبحث فى المكان بعينيها**) وأين ذهب ؟..

الدكتور : ذهب .. ذهب .. أعنى .. خرج ..

نبيلة : (**بدهشة**) خرج من المنزل ؟..

الدكتور : نعم .. خرج .. (**يلتفت إلى الباشا**) أليس كذلك ؟

الباشا : (**موافقا**) معقول .. أقصد .. مضبوط ..

نبيلة : هذا عجيب .. يخرج هكذا بدون أن يخبرنا .. أهناك سبب مفاجىء دعاه إلى الخروج على هذه الصورة ؟!..

الدكتور : طبيعى ...

نبيلة : ولماذا ترككما هنا وذهب ؟..

الدكتور : (**فى ارتباك**) آه .. حقا .. تركنا هنا ..

الباشا : (**بسرعة**) قال لنا أن ننتظره هنا ..

نبيلة : سيعود إذن بعد قليل .. ربما استدعاه أحد بالتليفون لأمر هام ...

الدكتور : (**يشير إلى التليفون فوق المكتب**) نعم .. نعم .. التليفون ..

الباشا : كلوب محمد على ...

نبيلة : فهمت الآن .. هذا ممكن .. خرج يا دكتور قبل أن تعطيه الحقنة ؟.

الدكتور : الحقنة ؟.. أى حقنة ؟.. آه .. نعم أعنى :. لا .. إنى فى انتظاره .

نبيلة : أنا أيضا سأظل بهذا الثوب فى انتظاره .. إنى دائما أعلق أهمية كبرى على ذوقه .. بابا له رأى لا يمكن أن يخطئ فى كل ما يتعلق بالنساء .. وأثوابهن وزينتهن .. هذا بالطبع شيء لا يمكن أن يهمك أنت يا دكتور ؟!

الدكتور : مع الأسف ..

نبيلة : (**للباشا**) وأنت أيها الشاب الخجول .. أيهمك ذلك ؟...

الباشا : كثيرا ..

نبيلة : أتستطيع أن تحكم بذوق سليم على أزياء السيدات ..

الباشا : أرجو أن أستطيع ذلك ؟..

نبيلة : ما قولك إذن فى ثوبى هذا ؟!..

الباشا : (**يتأمل ثوبها**) ثوبك هذا ؟..

نبيلة : نعم ما رأيك فيه ؟.

الباشا : (**ناسيا نفسه**) جميل جدا يا نبيلة .. ولكن الحزام كنت أفضله من الجلد « الشاموا » !..

نبيلة : (**مأخوذة**) نبيلة !... من أين عرفت اسمى ؟!..

الباشا : (**مرتبكا متداركا**) آه ... حقا .. أعرف .. كلنا نعرف أن الباشا .. صديق باشا رفقى له بنت تدعى نبيلة ..

نبيلة : لا بد أن تكون قرأت ذلك فى أخبار المجتمع ..

الباشا : معذرة إذا كنت قد تجرأت ..

نبيلة : لا داعى مطلقا إلى الاعتذار .. إنه ليسرنى أن تخرج عن خجلك .. وأن تبدى رأيك بصراحة .. (**تتأمل ثوبها**) العجيب أن مثل هذا الفستان فعلا يكون أجمل بحزام من الشاموا !.. من علمك هذا الذوق فى مثل سنك .. إنك حديث

عهد بالخروج من الجامعة .. أين ومتى لاحظت أزياء السيدات ؟!..

الباشا : أنا فى نظرك صغير إلى هذا الحد ؟!..

نبيلة : فى العمر بالطبع .. لا فى الذكاء ..إنى لم أرك إلا الآن.. ولا أحكم عليك إلا من ظاهرك .. هذا الظاهر الحى الهادىء قد يخفى شيئا آخر ..

الباشا : شيئا آخر ، مثل ماذا ؟..

نبيلة : أنت أدرى بحياتك .. لا بد أنك عرفت كثيرا من الفتيات فى الجامعة وفى غيرها . إن الشاب الهادىء المظهر كثيرا ما يخفى خلف هدوئه أو حياته قلبا ملتهبا وعاطفة متأججة .

الباشا : أترين من مظهرى أنى أحمل مثل هذا القلب ؟

نبيلة : أعتقد .

الباشا : شىء عجيب !..

نبيلة : ما هو العجيب ؟.. أن أستطيع فهمك بهذه السرعة . ولم ؟. أتظننى غرة ساذجة ؟!.. إنى سأبلغ العشرين بعد قليل .

الباشا : نعم .. سن متقدمة جدا ..

نبيلة : أتهزأ ؟.. لاحظ أنك فى نفس الوقت تهزأ من نفسك .. إن الفرق بيننا ليس شاسعا . إنك قد لا تكبرنى بأكثر من أعوام قليلة جدًا كم ؟.. ثلاثة ؟.. أربعة ؟.. خمسة ؟..

الباشا : (**فى تهكم خفى**) على أكثر تقدير !..

نبيلة : لا تدهش إذن لتفاهمنا السريع !.. نحن من جيل واحد !..

الباشا : (**يلتفت إلى الدكتور**) سامع يا دكتور ؟..

نبيلة : دع الدكتور فى حاله .. إنه بعيدا جدا عنا .. ألا ترى كيف ينظر

إلينا بدهشة ودهول .. كأنما هو يرقبنا من كوكب المريخ !..

الباشا : (**كالمخاطب نفسه**) معذور !..

نبيلة : خطيبى أيضا من هذا النوع .

الباشا : (**باندفاع**) مدحت !...

نبيلة : (**بدهشة**) أتعرفه ؟..

الباشا : (**مستدركا**) من الصحف .. أخبار المجتمع ..

نبيلة : قد يكبرك ويكبرنى بسنوات قليلة هو الآخر .. ولكن لست أدرى لماذا يخيل إلى أنه من طبيعة أخرى لا تتفق مع مزاجى!..

الباشا : لا تقولى ذلك .. مدحت خطيبك من أنبغ الشبان !..

نبيلة : وما قيمة نبوغة عندى !.. إذا كان بكل هذا النبوغ لا يستطيع أن يقول لى إن ثوبى جميل أو إن الذى ينقصه ليكون أنيقا فاتنا هو حزام من الشاموا !..

الدكتور : (**ينهض**) أظن أنى انتظرت الباشا أكثر مما ينبغى !..

الباشا : (**بارتياع**) ماذا تفعل ؟.. أتذهب ؟..

الدكتور : طبعا .. لا أستطيع البقاء هنا إلى غير حد ..

الباشا : وأنا ؟!..

الدكتور : أنت حر ..

الباشا : (**فى حيرة**) حر ..

نبيلة : بالطبع أنت حر .. دع الدكتور يذهب إلى عمله .. وابق أنت فى انتظار بابا .. إنى متكفلة بأن أقدمك إليه .. بهذه المناسبة ... ما اسمك ؟..

الباشا : (**ينظر إلى الدكتور**) اسمى ؟!..

نبيلة : نعم اسمك ؟.. أليس لك اسم ؟...

الدكتور : (**بسرعة**) لا تؤاخذيني يا آنسة نبيلة .. كان يجب أن أقدمه إليك ساعة دخولك .. ولكني .. ما حسبت أنه سيحظى منك بهذا الاهتمام ..

نبيلة : لا أحب المعرفة التي تأتى عن طريق التقديم .. حضرته فلان ، وحضرتها فلانه .. ما قيمة ذلك ؟!.. ولكن يحدث أحيانا أن تقابل شخصا ، لا تدرى من يكون .. فيخيل إليك أنك رأيته من قبل ، وأنك تعرفه منذ زمن طويل ..

الباشا : وهل أنا عندك من هذا النوع ؟..

نبيلة : نعم .. منذ وقع نظرى عليك ، تولد عندى شعور أنى رأيتك من قبل .. أين ؟.. متى ؟.. لست أدرى .. ولكني واثقة أننا تقابلنا فى مكان ما ..

الباشا : أنا أيضًا على ثقة من ذلك ..

نبيلة : أنت أيضا تذكر أنك رأيتنى من قبل ؟!..

الباشا : بالتأكيد ..

نبيلة : أين ؟.. فى الجامعة ؟.. انتظر .. أنا أقول لك .. فى العام الماضى كنت أتتبع بعض المحاضرات فى القسم الفرنسى بكلية الآداب .. وكلية الحقوق فى مواجهتنا .. لعلنا تقابلنا فى حرم الجامعة .. عند النصب التذكارى مثلا .. إنك لم تكن تخرجت فى العام الماضى .. فى أى سنة تخرجت أنت ؟..

الباشا : (**بلا وعى**) أنا .. تخرجت فى سنة ١٨٩٨ .

نبيلة : (**فى دهشة ضاحكة**) ١٨٩٨ ؟!..

الباشا : (**مستدركا**) أقصد ١٩٤٨ .. نعم ١٩٤٨ طبعًا .

نبيلة : طبعًا..لا..لا أظن أنى رأيتك هناك إذن..لأنى عام ١٩٤٨ كنت

لا أزال فى المير دى ديو ...

(**يسمع صوت زوجة الباشا تنادى من الخارج ابنتها** ...)

الزوجة : (**تظهر وهى تنادى**) نبيلة !... هل رأى أبوك الفستان ؟

نبيلة : لا يا ماما ... بابا خرج .

الزوجة : متى ؟. بدون أن نراه ؟..

نبيلة : يظهر أنه خرج أثناء وجودنا مع الخياطة فى حجرتى . استدعى إلى كلوب محمد على بالتليفون ..

الزوجة : آه .. لا شك أن الأمر متعلق بالأزمة الوزارية الحاضرة ..

نبيلة : سيعود حالا يا ماما لأنه قال للدكتور طلعت أن ينتظر

الزوجة : (**للدكتور**) لم يأخذ الحقنة إذن يا دكتور ؟!

الدكتور : لا .

الزوجة : كان الواجب أن يأخذها قبل أن يذهب .. إنه يرهق نفسه كثيرا بنشاطه السياسى الذى لا يهدأ .. وبأحاديثه الصحفية التى لا تنقطع ... ألا تلاحظ معى يا دكتور أن صحته متأخرة جدا فى هذه الأيام ؟

الدكتور : اطمئنى .. لم يبق هناك أى محل للخوف على صحته !

الزوجة : وقلبه ؟

الدكتور : قلب شاب فى الخامسة والعشرين .. ولم أعد أرى داعيا للاستمرار فى الحقن الآن (**ينظر فى ساعته**) أزف أوان عملى فى الكلية .. أتسمحون لى بالانصراف ؟

الباشا : (**فى أثره**) وأنا طبعا ..

نبيلة : (**للباشا**) لماذا تتقيد أنت بالدكتور .. إنه مرتبط بأعمال ومشاغل .

الزوجة : من هذا الشاب يا نبيلة ؟

نبيلة : شاب مهذب يا ماما متخرج فى كلية الحقوق جاء ليوسط الدكتور طلعت عند الباشا ليعين فى إحدى الوظائف .

الزوجة : (**للباشا**) ابق يا بنى حتى عودة الباشا ، واعرض عليه مسألتك بنفسك ..

نبيلة : قلت له ذلك يا ماما .. ولكنه ، كما ترين ، شاب خجول ...

الزوجة : لا داعى للخجل يا ابنى ، الباشا لن يتأخر عن مساعدتك .. خصوصا وأمرك يهم الدكتور .. إنك لا تعرف منزلة الدكتور طلعت عندنا !

الدكتور : أنا .. متشكر جدا .

الزوجة : (**تنظر إلى الباشا مليا**) شكلك ليس غريبا على ... لكأنى أعرف هذه النظرات .. وهذا الصوت .. وهذه الملامح.هل رأيتك مع الدكتور قبل اليوم ؟

الباشا : من الجائز .. الدكتور هو الآن ولى أمرى .. أليس كذلك يا دكتور !؟

الدكتور : تقريبا .

نبيلة : (**للباشا**) اسمح لى أن أحتج على ولى أمرك .. إنه يعاملك كطفل ... لا يريد أن يقدمك إلينا .. ولا أن يذكر لنا شيئا عنك .. حتى ولا اسمك !.. سألتك عن اسمك فلم تجب .. كيف تريد أن أناديك إذن ؟

الباشا : اسمى .. ستدهشين إذا عرفت .. وخفت أن تحسى أنى أمزح .. اسمى : صديق رفقى .

نبيلة : مثل اسم بابا !

الباشا : بالضبط .. هكذا سمانى المرحوم والدى ..

نبيلة : لا بد أنه كان من المعجبين ببابا ..

الباشا : جدًا !...

الزوجة : والست والدتك أيضا لا بد أنها رأت صورة الباشا فى إحدى الصحف .. ساعة الوحم .. لأن فيك شيئا منه ..

الدكتور : من الجائز أن الباشا فى شبابه كان بهذا الشكل تماما !؟..

الزوجة : ليس تماما .. ولكن بالتقريب ...

نبيلة : الأمر الذى يشبه فيه بابا تماما هو ذوقه فى الأزياء . تصورى يا ماما أنه اقترح أن ألبس مع هذا الفستان حزاما من الشاموا ؟!..

الزوجة : (**تتأمل الثوب فاحصة**) فى محله !..

نبيلة : (**للباشا**) أرأيت .. نظرك فى محله .. إنى أتنبأ لك بمستقبل باهر .. من يدرى ؟. قد تصل فيما بعد إلى مركز مثل مركز بابا ..

الباشا : أشكرك !..

نبيلة : وأنت يا ماما .. ألا ترين له ما أرى ؟.. ألا ترين أنه قد يصل يوما ما إلى الوزارة !..

الزوجة : (**باسمة**) إنك يا نبيلة مشغولة منذ الآن بمستقبل هذا الشاب !؟..

(جرس التليفون على المكتب يدق ، فيتحرك الباشا نحوه دون وعى .....)

الباشا : من ؟.. (**يتذكر نفسه ويتدارك ويقف فى موضعه**) لا مؤاخذة !.

الزوجة : (**تسرع إلى التليفون وتتناول السماعة**) ألو !.. من !.. من

يا أفندم ؟.. غير موجود .. أنا زوجته .. مطلوب ضرورى جدًا .. لتأليف الوزارة الجديدة !.. آه .. هو الآن فى « كلوب محمد على » .. (**تضع السماعة وتلتفت إلى الحاضرين**) الباشا سيؤلف الوزارة !..

الدكتور : (**فى غير وعى ناظرا إلى الباشا**) والعمل ؟!..

الزوجة : (**للدكتور**) أهذا كل ما تقوله لتهنئنا يا « دكتور طلعت » ؟.

الدكتور : (**ثائبا إلى رشده**) عفوا .. معذرة .. إنى مشغول البال فى موضوع آخر ..

نبيلة : (**للباشا**) مالك قد وجمت ؟!.. يجب أن تسر وتفرح .. حظك من السماء .. بابا الآن رئيس حكومة .. معنى هذا أن فى استطاعتك أن تطلب وتختار .. أى وظيفة تريد .. فى السلك القضائى أو فى السلك السياسى أو فى أقلام القضايا ، أو فى ..

(**يدخل الخادم مسرعا** .....)

الخادم : معالى رئيس مجلس الشيوخ !..

الزوجة : أين ..

الخادم : أدخلته فى الصالون الكبير ..

الزوجة : هيا بنا نستقبله يا « نبيلة » ... عن إذنكم لحظة !..

(**تقود ابنتها وتخرج بها مسرعة .. تاركتين الدكتور والباشا وحدهما مذهولين** ....)

الدكتور : (**يفيق من ذهوله ، ويلتفت إلى الباشا**) والعمل ؟.. أنت الآن مطلوب لتأليف الوزارة ؟!.. أرأيت الورطة التى نحن فيها الآن ؟!..

الباشا : (**بدون تفكير**) أى ورطة ؟!...

الدكتور : ألا ترى الورطة ؟!.. أين هو الآن « صديق باشا رفقى » الذى سيؤلف الوزارة ؟!..

الباشا : وأنا أين ذهبت ؟..

الدكتور : أنت ؟!.. الشاب الخجول الساعى فى طلب وظيفة !..

الباشا : ما هذا الكلام الفارغ !؟..

الدكتور : أعرف .. أعرف أنك لم تزل محتفظًا داخل نفسك بكل دقائق شخصيتك الكبيرة .. بكل ما ضيك ، وكل تجاربك ، وكل كفاءتك .. لم يستجد عليك شيء إلا الشباب الظاهرى الجثمانى .. ولكن الناس .. أيمكن أن يصدق الناس أن هذا الشاب هو نفسه « صديق باشا » السياسى الهرم !؟..

الباشا : وإذا أكدنا لهم ذلك ؟...

الدكتور : من الذى يؤكد لهم ذلك ؟... أنت ؟.. يضعونك فى الحال فى مستشفى الأمراض العقلية ، مع أولئك الذين ادعوا شخصيات « هتلر » و « موسولينى » و « نابليون » !.. وتنشر الصحف فى اليوم التالى خبرا ظريفًا عن شاب مثقف أصيب بخبل .. يزعم أنه « صديق باشا رفقى » !..

الباشا : أنت تؤكد لهم وتثبت بالتجربة ..

الدكتور : (**كالمخاطب نفسه**) نعم .. نعم .. أستطيع ذلك .. ولكن أنا نفسى لم أزل غير مصدق لما فعلت .. رأسى يدور بى وكأنى فى حلم .. لا بد لى من بعض الوقت ، لأرى الأشياء فى وضوح .. وأقدر النتائج ...

الباشا : النتائج !.. حقًا .. هأنذا أفطن إلى نتيجة مروعة !.. زوجتى !.. هذه العجوز التى نادتنى الآن يا ابنى !.. أمعقول

أن أستأنف حياتى الزوجية معها ؟..

الدكتور : وبنتك « نبيلة » التى كادت تغازلك على المكشوف !..

الباشا : حقا .. لم يعد لى مكان فى هذا البيت !.. هلم بنا .. إلى الطريق .. إلى الحياة .. إلى حياة جديدة .. إنى شاب !..

الدكتور : نعم .. هلم بنا معا .. نحن فى حاجة إلى شىء من الهدوء .. والعزلة .. لنتدبر كل ما حصل .. وما سيحصل .. إن هذا ليس حدثا عاديا .. (**يصيح**) آه يا ناس !.. هذا شىء أعجب من أن يتصوره عقل .. إنى سأجن .. ساعدنى .. ساعدنى يا باشا .. دعنى أضعك تحت المراقبة .. بضعة أيام .. أريد أن أراقبك .. وأراقب عقلى ..

الباشا : راقب عقلك أنت .. أما أنا ففى غاية الصحة والعافية والنشاط .. هلم بنا .. بعيدا عن هذا المكان .. أريد أن أفرح .. وأن ألعب .. وأن أضحك .. وأن آكل وأن أشرب ، وأن أهرج وأن أمزح ، وأن أسهر وأن أضرب ، وأن أبطح ، وأن أغازل ، وأن أعشق ،وأن أشعر، وأن أغنى ، وأن أبكى ، وأن أجرى ، وأن أنفق ، وأن أفلس ، وأن أجوع وأن أشبع ، وأن أبطش ، وأن أعطش !..

الدكتور : كفى .. كفى .. فهمت .. هيا بنا ..

الباشا : هيا بنا !..

الدكتور : ألا تنتظر « الست » بعد أن تفرغ من رئيس مجلس الشيوخ !..

الباشا : الشيوخ !.. مالنا وما للشيوخ !..

(**يجرى بنشاط نحو باب البهو ويلقى نظرة إلى الخارج ثم يقول هازئا ..**) معالية يسعل سعاله المعتاد !.. لعنة الله على

الشيخوخة !.. إلى الطريق .. إلى الطريق .. سأقفز من النافذة !..

(يقترب من النافذة ويرفع قدمه ..)

الدكتور : (**يسرع بمنعه**) اعقل يا باشا !..

الباشا : (**يدفعه عنه**) دعنى أفرح بشبابى !..

(يقفز من النافذة إلى الحديقة .. ثم يصفر له بفمه من الخارج صفيرا مستطيلا)

الدكتور : (**وهو مطل عليه من النافذة**) تصفر لى أيضا ؟!..

الباشا : (**مناديا كما يفعل الشبان من الخارج تحت النافذة**) « طلعت » ... يا « طلعت » .. قابلنى على ناصية الشارع !..

الدكتور : (**يضع رأسه فى كفيه ضاغطا**) هل أنا بعقلى ؟!.. هل أنا أحلم ؟!..

(ستار)

الفصل الثانى

المنظر الأول

(فى منزل « الدكتور طلعت » .. بهو استقبال حسن الرياش ، بسيط الأثاث .. « لطفية » زوجة طلعت جالسة فى مقعد مريح . وأمامها « صديق رفقى » فى مظهره الشاب على مقعد آخر .....)

صديق : (**يخرج ساعته من جيبه وينظر فيها**) الساعة الآن الخامسة والنصف .. و لم يعد بعد ؟!..

لطفية : ما هذه الساعة العتيقة .. التى لا تناسب سنك .. لكأنها ساعة المرحوم والدك !..

صديق : (**شاردًا**) حقًا !..

لطفية : يحسن بك أن تبيعها وتشترى ساعة حديثة تضعها فى معصمك .. مثل الشبان !...

صديق : ليس هذا وقته يا سيدتى ... المهم الآن « الدكتور طلعت » .. لماذا تأخر حتى هذه اللحظة ؟... وأين تناول طعام الغداء ؟..

لطفية : لا أعرف .. و لم يخبرنى .. كل ما قاله لى الظهر فى التليفون لا أنتظره على المائدة .. لأنه مطلوب فى النيابة .. لسؤاله فى قضية اختفاء « صديق باشا رفقى » ...

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) ترى ماذا سيقول فى النيابة ؟!..

لطفية : بالطبع سيدلى بمعلوماته القليلة فى الموضوع .. ذهب ليعطى

الباشا الحقنة المعتادة ضد الذبحة الصدرية .. فطلب الباشا إلى « كلوب محمد على » وخرج و لم يعد .. هذا كل ما علمته من زوجى .. وأظنك كنت معه وقتئذ فى بيت « الباشا » ..

صديق : (**فى إطراق**) نعم !..

لطفية : ليقدمك إليه من أجل وظيفة فيما أذكر ..

صديق : (**فى إطراق**) نعم ...

لطفية : حادث غريب .. قرأت طبعًا ما تقوله الصحف اليوم !..

صديق : (**وهو ساهم**) يعللونه بأنه اختطاف مدبر من جمعية إرهابية ..

لطفية : هذا هو المعقول .. رجل كهذا كبير السن .. فى يوم دعوته لتأليف الوزارة ، لن يختفى طبعًا من أجل الحب .. ولن تخطفه امرأة !.. لا بد أن يكون ذلك لأسباب سياسية .. وقد كانت له آراء جريئة .. وكان له خصوم ..

صديق : (**فى تهكم خفى**) تعليلات منطقية !.. حقًا ليس أصدق من المنطق فى الدلالة على الحقيقة !..

لطفية : تقول الصحف إن التحقيق يتقدم بنجاح .. ولن تمضى أيام حتى يقبض على المجرمين !...

صديق : (**بدون وعى**) أى مجرمين ؟!..

لطفية : الذين اختطفوا « رفقى باشا » !..

صديق : آه .. حقًا .. حقًا ..

لطفية : خصوصًا بعد أن أعلنت الحكومة فى صحف الصباح عن مبلغ الخمسة الآلاف من الجنيهات مكافأة لمن يرشد أو يدلى بمعلومات تكشف عن الجريمة .

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) مبلغ يغرى بالاختراع والافتراء !..

لطفية : أهم شيء يرجى الآن هو العثور على الباشا حيًا .. دون أن يمس بسوء .. رحمة بزوجته وابنته !..

صديق : (**باهتمام**) أخبريني يا سيدتي .. هل رأيتهما ؟!..

لطفية : طبعًا .. إنهما من أعز صديقاتي ..

صديق : متى رأيتهما ؟!..

لطفية : كل يوم تقريبًا منذ أن اختفى « الباشا »... هذا هو اليوم الثالث لاختفائه أليس كذلك ؟..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) ثلاثة أيام !.. بهذه السرعة !...

لطفية : بهذه السرعة ؟.. ماذا تقصد ؟..

صديق : أقصد مر الأيام .. على وجه العموم !..

لطفية : أترى الأيام تمر سراعًا .. ما أسعد حظك !.. إنها فورة الشباب لم تنطفىء بعد عندك .. بينما الأيام تمر فى نظرى بطيئة متثاقلة متشابهة .. إنى مع ذلك صغيرة السن .. وقد لا أكبرك كثيرًا .. كم سنك ؟..

صديق : سنى ؟!..

لطفية : نعم .. لماذا ارتعت هكذا ؟.. إنك لم تزل بعيدًا جدًا عن المرحلة التى يخفى فيها الشخص عمره ؟.. كم بالضبط ؟..

صديق : قدرى أنت سنى ؟!..

لطفية : (**تتأمله**) ليس أكثر من ستة وعشرين عاما .. نحن أظن من عمر واحد ..

صديق : حقًا .. من عمر واحد !..

لطفية : كان يجب مع ذلك أن أرى الحياة مثلك فى لون الورد .. لكن واأسفاه !..

صديق : كيف عرفت أنى أرى الحياة فى لون الورد ؟!..

لطفية : (**باسمة**) هذا ظاهر ومطبوع .. على صدرك !..

صديق : صدرى ؟!..

لطفية : (**مشيرة بأناملها**) أقصد على قميصك .. هذه الآثار الحديثة من أحمر الشفاه !.. أتريد خاتمًا وطابعًا وتوقيعًا من حياة أدمغ من هذا ؟!..

صديق : (**يلتفت إلى آثار الأحمر فوق قميصه ويسرع بإزالتها بمنديله**) معذرة ... معذرة !..

لطفية : لا حاجة بك إلى الاعتذار .. هذا طبيعى .. إن لم تستمتع بحياتك الآن فمتى تفعل ؟..

صديق : إنى لم أضيع دقيقة !..

لطفية : لاحظت ذلك عليك يوم جئت أمس الأول هنا لمقابلة زوجى .. كنت مضطربا .. غير مستقر على حال .. تريد الإسراع بالانصراف والانطلاق .. ولم ترد انتظار القهوة .. وكانت نظرات عينيك غريبة ، فيها لمعة المستغرب لكل شيء .. وكانت حركاتك فيها ما يشبه انتفاضة السعادة .. أو رقصة الفرح بشبابك وحياتك .. وقد خلوت بزوجى لحظة ثم انصرفت كالراكض .. فقال لى طلعت عنك إنك حديث تخرج فى جامعة الإسكندرية .. وفد جئت القاهرة حديثًا فى طلب وظيفة .. وإن ما يظهر منك هو الدهشة للقاهرة التى لم تعش فيها كثيرًا .. فهى تبهرك وتريد المبادرة إلى الاستمتاع بكل لحظة فيها ..

صديق : وماذا قال لك عنى أيضا ؟..

لطفية : قال عنك إنك عرفته عن طريق أستاذ فى الجامعة ، وعن والدك إنه كان من أصدقاء « رفقى باشا » وسماك على اسمه .. وربما قال أشياء أخرى لم ألتفت إليها .. لأن كل هذا لا شأن لى به .. الأمر الوحيد الذى لفت نظرى إليك فرحتك العجيبة بحياتك !.. أأنت مزهو بنفسك إلى هذا الحد ؟!.. أم هى نشوة الشباب الجامح كالمهر بغير زمام !..

صديق : لست مزهوا بنفسى ... بل بشبابى !..

لطفية : خيل إلى وقتئذ أنك تريد أن تحب كل امرأة تراها !..

صديق : فراستك فى محلها !..

لطفية : هذا من حقك .. هذا هو وقت الحب عندك .. حذار أن تضيعه .. كما ضيعته أنا ..

صديق : كما ضيعته أنت ؟!..

لطفية : بالزواج .. عندما تتزوج ستعرف ..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) أعرف .. (**يتدارك**) أعرف ماذا ؟!..

لطفية : تعرف أن الزواج هو مقبرة الحب الملتهب .. خصوصا إذا كان الزوج رجلا مشغولا بعمله أو معمله !.. إنى واثقة من أن « طلعت » لا يذكر جيدًا لون عينى .. ولكنه يعرف أتم المعرفة ألوان عيون أرانبه !..

صديق : إن زوجك عالم فاضل .. عالم عظيم .. ألا يكفيك هذا فخرا ؟!..

لطفية : (**متنهدة**) حقا .. يكفينى فخرا !..

صديق : (**ينهض**) أظن أنه ليس من حقى أن أنتظره هنا أكثر من ذلك .. لا بد لى مع ذلك من مقابلته اليوم فى موضوع مهم جدًا ..

لطفية : موضوع .. الوظيفة ...

صديق : (**بدون وعى**) الوظيفة ؟!.. (**يتدارك**) نعم .. نعم .. موضوع وظيفتى .. لقد استجد فى شأنها ما يجب أن يطلع عليه فى أقرب وقت .. إنه هو الذى يسعى لى فيها الآن !..

لطفية : ولماذا لا تنتظره ؟.. إن غيبته لن تطول .. وإلا كان أخطرنا بالتليفون

صديق : إنى أضايقك !..

لطفية : بالعكس .. نحن نمضى الوقت فى حديث لطيف !..

صديق : (**يعود إلى الجلوس**) اسمحى لى أن أنتظره بضع دقائق أخرى !..

لطفية : انتظره ما شئت .. إنك لا تضايقنى .. ولا تعطلنى .. ليس عندى ما أفعل فى هذه الساعة !..

صديق : أشكرك .. إنك ظريفة حقًا !..

لطفية : ليس فى كل الأحوال .. ولا مع كل الناس !..

صديق : إنى سعيد الحظ أن أظفر بهذا الاستثناء !..

لطفية : إنى سعيدة الحظ لو كان جلوسك إلى يسرك فى ذاته !..

صديق : بالطبع يسرنى فى ذاته !..

لطفية : إنك تجامل !..

صديق : إنى أقرر الواقع !..

لطفية : تريد أن تقول إنه لو لم تكن لك علاقة بزوجى أو غاية من زيارته ، لكان فى مجرد جلوسك إلى وحديثى معك سرور لك ؟!..

صديق : وأى سرور ؟!..

لطفية : وستذكر حديثنا معًا بعد انصرافك ؟!..

صديق : أفى هذا شك ؟!..

لطفية : (**باسمة**) كما يذكر « طلعت » لون عينى ؟!..

صديق : إنك تبالغين .. أيمكن أن ينسى رجل لون هاتين العينين !...

لطفية : أشكرك لك هذا الإطراء !..

صديق : بل أرجو أن تصححى رأيك فى « الدكتور طلعت » ... إنه مثال نادر من النفس الكريمة ، والمشاعر الرقيقة !..

لطفية : من هذه الجهة لست أنكر !..

صديق : كل ما فى الأمر أن أبحاته تستغرق فكره .. ولو عرفت خطورة أبحاثه العلمية لعذرت كل ما يبدو عليه من شرود وشذوذ !..

لطفية : آه .. خصوصًا فى الأيام الأخيرة .. آه لا تذكرنى .. ربما لم تلاحظ أنت .. لأنك لم تقابله أكثر من لحظات .. أما أنا التى أعاشره عن قرب .. فقد رأيت منه أخيرًا ما يزعج البال ، ويقلق الخاطر !..

صديق : (**باهتمام**) ماذا رأيت ؟..

لطفية : منذ ثلاثة أيام تقريبًا وهو على حالة لم يسبق أن رأيته عليها .. إنه يكثر من مخاطبة نفسه بكلام غير مفهوم .. ويستيقظ فى جوف الليل ، ويجلس فى فراشه ، ويضغط رأسه بين كفيه هامسًا : « هذا جنون ... إنى أحلم .. إنى سأجن !.. »

صديق : لعل هذا من أثر الإجهاد فى بحوثه ..

لطفية : قلت ذلك .. واقترحت عليه أن يأخذ إجازة مرضية ، نمضيها فى « الفيوم » قرب « بحيرة قارون » .. ولكنه رفض .. زاعمًا أنه لا يستطيع ترك دروسه فى الكلية فى الوقت الحاضر !..

صديق : لا تخافى .. هذا أمر عارض من تأثير الصدمة !..

لطفية : أى صدمة ؟..

صديق : قصدى !.. قصدى حادث اختفاء صديقه « رفقى باشا » .. هذا حادث لا بد أن يزعجه .. وهو الذى كان يباشر علاجه !..

لطفية : بالتأكيد .. ولقد انزعج فعلا لهذا الحادث انزعاجًا شديدًا ، وعندما كانت زوجة « الباشا » وابنته تبكيان أمس ، كان هو ينظر إليهما وهو فى غاية التأثر ..

صديق : (**بدون وعى**) أوَ كانتا تبكيان ؟!..

لطفية : طبيعى !..

صديق : (**خارجًا عن طوره**) لا حول ولا قوة إلا بالله .. لا حول ولا قوة إلا بالله

لطفية : (**تنظر إليه فى دهشة**) أحالهما يؤلمك هكذا ؟!..

صديق : (**بدون وعى**) مؤكد .. (**يتدارك**) أقصد أن تصور ما هما فيه الآن يثير فى النفس .. فى أى نفس .. الرحمة بهما والرثاء لهما ...

لطفية : هذا صحيح .. ولقد فعلت أنا كل ما فى وسعى لأهدىء من روعهما .. ولم أزل بهما أحيى فيهما الأمل والاعتقاد بأن الباشا حى سليم معافى ... إلى أن خفّت عنهما وطأة الحادث ..

صديق : (**باندفاع**) أشكرك !..

لطفية : (**فى دهشة**) أنت تشكرنى ؟!..

صديق : (**مستدركا**) أقصد .. نيابة عن المروءة والشعور الحى .. إن موقفك يستحق الشكر من أى إنسان يقدر المواقف الكريمة ..

لطفية : إنك أنت فيما أرى الذى تملك إحساسًا مرهفًا وقلبًا رحيما ..

(**جرس الباب يرن**)

صديق : هذا جرس الباب ؟!...

لطفية : نعم .. وقد يكون طلعت .. إنه يحمل مفتاح الباب .. ولكنه ينسى ذلك دائما .. ويضغط على زر الجرس ..

(**يسمع فتح الباب وغلقه .. ولا يلبث « طلعت » أن يظهر** .....)

طلعت : (**يرى صديق فيجفل**) أنت ؟!..

لطفية : ما الذى راعك منه يا طلعت ؟!... إنه ينتظرك منذ نحو ساعة ..

طلعت : (**وهو يرتمى إعياء على مقعد**) عطشان !..

لطفية : هل تغديت ؟..

طلعت : لا ..

لطفية : أحضر لك طعامًا ؟..

طلعت : ليس بى جوع !...

لطفية : أعد لك إذن قدحًا من الشاى .. مع بضع فطائر .. لحظة واحدة !..

(**تخرج مسرعة** .....)

صديق : (**يقترب فى الحال من طلعت**) النقود .. بسرعة يا « طلعت » .. النقود !..

طلعت : أى نقود ؟!..

صديق : الشيك .. ألم تصرف الشيك ؟..

طلعت : رفض البنك صرف الشيك !..

صديق : رفض ؟!..

طلعت : إمضاء الباشا متغيرة .. هكذا قالوا ..

صديق : إمضائى متغيرة ؟!.. كيف ؟.. إمضائى ..

طلعت : إمضاء الباشا كانت فيها رجفة الشيخوخة !..

صديق : رجفة الشيخوخة !..

طلعت : ثم إنهم وجدوا المبلغ كبيرًا .. وتاريخ الشيك محررًا بعد يوم اختفاء الباشا الذى ورد فى الصحف .. ولولا تأكدهم من شخصيتى لارتابوا فى أمرى وأبلغوا البوليس .. لقد اكتفوا بأن ردوا إلى الشيك متأسفين ..

(يخرج الشيك من محفظته ويقدمه إلى « صديق » ....)

صديق : **(يتناول الشيك وينظر فيه)** حتى الإمضاء لم يعد إمضائى ؟!.. ما هذا الكلام ؟..

طلعت : اذهب بنفسك إلى البنك إذا شئت !..

صديق : أذهب بنفسى ؟!... ليقبضوا على .. ولا أجد لى ضامنًا ...

طلعت : **(يشير إلى رأسه)** أشعر بصداع هنا ..

صديق : والعمل ؟.. أسأعيش هكذا بغير نقود ؟!.. ومالى فى البنوك مرصود ؟!..

طلعت : **(يشير إلى رأسه مستمرًا)** كأن هنا مطارق تضرب على حديد ساخن !..

صديق : مبلغ العشرين جنيها التى أقرضتنى إياها منذ تركت منزلى قد أنفقتها عن آخرها .. طبعًا .. احسب معى .. أجرة فندق هذه الليالى الثلاث ... ومصروفات الطعام والشراب والمواصلات والسهرات .. بدون شك ... شاب فى فورة الشباب مثلى لن تنتظر منه أن ينام من المغرب وفى البلد صالات وكباريهات

وراقصات فاتنات.. الحق يا « طلعت » الشباب نعمة .. الشباب متعة .. الشباب جنة .. ما كل هذه الجميلات فى الشوارع والحوانيت !.. منذ أسبوع واحد فقط .. كنت أمر بهن وأنظر إليهن بعين كليلة وأترنم هامسًا : « أواه لو عرف الشباب وآه لو قدر المشيب ! » .. اليوم أنا أعرف وأقدر فى آن !.. ولقد عشت هذه الأيام الثلاثة ، كمن يعيش معجزة !.. ولكن النقود يا طلعت .. النقود .. كيف أعيش بغير مال ؟.. مالى الذى جمعته على مر السنين .. لا أستطيع أن أنفق الآن منه ؟.. الآن والحياة تولد عندى من جديد باسمة بهيجة ؟!.. تكلم يا طلعت .. تكلم .. دبرنى !..

طلعت : (**ويده على جبينه**) دعنى !..

صديق : أدعك ؟!.. كيف أدعك ؟.. (**يهز الشيك بين أصابعه**) ثروتى .. هذه ؟.. ضاعت منى الآن ؟.. أوَ لا يمكن للإنسان أن يحتفظ طويلا فى وقت واحد بالمال والشباب والتجربة !.. لا بد لأحدها أن يختفى سريعًا ؟!..

طلعت : (**كالمخاطب نفسه**) اختفى .. اختفى !..

صديق : مالى ؟.. تقصد مالى ؟.. اختفى عند ما ظهر الشباب ؟!.. ولكن هذا لا يمكن أن يكون .. إن ماضى موجود .. لا تنس ذلك يا « طلعت » . مهما يكن من أمر .. فأنا « صديق رفقى » .. بكل ذكرياته وخبرته وحنكته وثروته .. بل وبألقابه .. أنا « صديق باشا رفقى » !..

طلعت : (**متمتما فى همس**) « صديق باشا رفقى !...

صديق : بدون أدنى شك !.. هل أستطيع أنا التجرد من ذلك ؟!.. وهل

تستطيع أنت أن تنكر أنى أنا « صديق باشا رفقى » ؟..

طلعت : (**هامسًا كمن يتذكر**) « صديق باشا رفقى » !..

صديق : (**بقوة**) نعم .. وهذا ما يجب أن تقوله للناس جميعًا .. يجب أن تثبت للناس شخصيتى ، حتى أستطيع التصرف فى ثرونى .. لأنى ما أظنك أردت أن تعطينى الشباب ، وأن تجردنى فى نظير ذلك من كل ما أملك ؟!.. هذا يا « طلعت » ما لا أعتقد أنه مر برأسك ؟.. أليس كذلك ؟!..

طلعت : (**ويده تضغط على جبينه**) رأسى !.. نعم .. رأسى !..

صديق : ماذا برأسك ؟..

طلعت : طنين .. طنين .. طنين ..

صديق : (**ينظر إليه بقلق**) لا بأس .. هذا صداع من أثر الإجهاد ، سيزول عند ما تشرب الشاى .. ولكنك الساعة يجب أن تصغى إلى مليا وأن تعى جيدا ما أقول : لم يعد فيه خيار .. والأمر لم يعد يحتمل التلكؤ .. لقد قلت إنه لا بد لك من بضعة أيام قبل أن تعلن ما حدث حتى تراقبنى ، وترى الأشياء بوضوح ، وتقدر النتائج .. وها هى أيام قد مضت .. والحقنة قد نجحت .. ولكن النتائج تتطور على عجل بشكل يدعو إلى القلق .. فأموالى عنى محجوزة .. وأنا فى نظر الحكومة والرأى العام مخطوف .. وأسرتى باختفائى منكوبة .. أظن كل هذا يجب أن يوضع له حد .. آن الأوان يا طلعت أن تعلن إلى الناس الحقيقة .. وأن تخبرهم بما حصل .. وتكشف لهم عن سر الحقنة والتجربة .. ومن رأيى أن تبدأ بتبليغ النيابة قبل أن تتورط فى تحقيقات متشعبة لا طائل تحتها .. هذا المساء بالذات اذهب إلى

النيابة وأخبرها أن « صديق باشا رفقى » موجود .. لم تخطفه جمعية إرهابية .. ولكنه أجريت عليه تجربة ردته إلى الشباب !..

طلعت : (**ورأسه بين يديه**) ما هذا الحلم ؟!..

صديق : أى حلم ؟!..

طلعت : (**هامسًا**) « صديق باشا رفقى » .. الحقنة .. النيابة ..

صديق : حقًا .. كأنه حلم .. ولكن يجب منذ الآن أن يجرى كل شيء فى وضح النهار .. لا تبطىء يا « طلعت » .. اسمع نصيحتى .. إنى رجل حنكته التجارب .. اسبق الحوادث قبل أن تسبقك .. لأنها إذا سبقتك فاجأتك أحيانا بما لا يسرك .. اذهب الليلة إلى النيابة وبلغها ..

طلعت : (**فى ذهول**) النيابة .. بلغت النيابة ..

صديق : (**فى عجب**) بلغت النيابة ؟!.. بماذا ؟..

طلعت : (**شارد كالحالم**) بما رأيت ..

صديق : (**متوجسًا**) ماذا رأيت ؟..

طلعت : (**كمن يرى أشباحًا أمامه**) الباشا .. الباشا .. الحقنة .. أخذ الحقنة .. لا .. لم يأخذها بعد ..

صديق : (**فى قلق**) لم يأخذها بعد ؟!..

طلعت : (**كالمخاطب نفسه**) لا أذكر !..

صديق : لا تذكر ؟!.. لا تذكر الحقنة ؟!..

طلعت : (**كمن يرى أمامه ما يجرى**) نعم .. أخذ الحقنة .. حقنة « الأنجيوكسيل » ودخل حجرته .. واستراح قليلا على فراشه .. ثم .. ثم .. ثم قرع جرس التليفون .. « كلوب محمد على » .. فنهض وخرج .. ولم يعد اختفى .. اختفى ..

صديق : هذا ما قلته للنيابة طبعًا ...

طلعت : نعم .. اختفى الباشا .. اختفى ..

صديق : الليلة كما قلت لك يجب أن تعود إلى النيابة، وتصحح أقوالك ، وتذكر حقيقة ما حصل !..

طلعت : حقيقة ما حصل .. الباشا اختفى ..

صديق : مفهوم .. هذا كلام الصحف .. وأقوالك السابقة .. ولكنى أريد أن تدلى بأقوال جديدة ، تكشف بها عما تم بالفعل .. أقصد أن تخبر النيابة أن الباشا لم يختف !..

طلعت : ولكنه اختفى أين ...

صديق : (**بقلق**) اختفى أين ؟..

طلعت : لا أحد يدرى .. لا أحد يدرى ! .

صديق : وأنت يا طلعت تدرى طبعًا ..

طلعت : لا ... لا أدرى ..

صديق : أنت لا تدرى ؟!.. أنت يا طلعت ؟... لا تدرى أين صديق باشا رفقى ؟!.. لطيفة ؟!.. نكتة لطيفة !..

طلعت : (**كمن يرى شيئًا أمامه**) صديق باشا رفقى .. أخذ حقنة « الأنجيوكسيل » ورقد لحظة .. ودق جرس التليفون .. وخرج .. اختفى .. خطفه الإرهابيون ..

صديق : (**باسما**) وأنا ؟...

طلعت : (**يتفرس فيه**) أنت ؟.. من أنت ؟..

صديق : من أنا ؟.. ألا تعرفنى ؟..

طلعت : (**يحملق فيه**) انتظر ... لا تؤاخذنى .. لا أذكر اسمك .. ولكنى أعرفك .. نعم .. نعم .. رأيتك عند الباشا .. قبل أن

يختفى .. جئت من أجل وظيفة فيما أعلم .. أليس كذلك ؟..

صديق : لا .. يا طلعت .. أرجوك .. المزاح فى كل شيء إلا فى هذا .. ليس الآن وقت ذلك على كل حال .. عد إلى الجد .. لتواجه الموقف وتبادر بإعلان الحقيقة !..

طلعت : الحقيقة ؟!..

صديق : نعم .. بدون تأخير .. أسامع ؟.. بدون تأخير .. أسرع وأعلن أنى لم أختف !..

طلعت : (**يحملق**) أنت اختفيت ؟.. متى أختفيت؟ إنى رأيتك هنا أمس .. وأمس الأول .. أليس كذلك ؟..

صديق : بالضبط .. وهذا ما ينبغى أن تقوله لهم : إن « صديق باشا رفقى » لم يختف .. وأنك رأيته أمس .. وأمس الأول !..

طلعت : « صديق باشا رفقى » ؟!.. لم أره أمس .. ولا أمس الأول .. إنه اختفى .. اختفى منذ ثلاثة أيام .. وقد رأيته آخر مرة يخرج بعد الحقنة إلى الطريق بشعرة الأبيض وظهره المنحنى وجسمه المتهدم !..

صديق : (**كمن لا يصدق ما يسمع**) رأيته هكذا .. آخر مرة ؟!..

طلعت : بعينى رأسى ...

صديق : رأيته هكذا ؟!.. بعد الحقنة .. يخرج إلى الطريق ..

طلعت : وبعدها اختفى .. اختفى ..

صديق : بعد الحقنة رأيته شيخًا متهدما ؟..

طلعت : بعينى رأسى ..

صديق : ألم ينقلب بعد الحقنة إلى شاب !؟..

طلعت : (**يحملق فيه مشدوها**) شاب ؟!... ما هذا الهراء !..

صديق : هراء ؟!.. ومن أين خرجت أنا إذن ؟!..

طلعت : أنت ؟!..

صديق : عيب يا طلعت .. عيب .. قلت لك كف عن هذا المزاح الثقيل .. خصوصا فى مثل هذا الظرف .. مهما يكن من أمر فإن من الواجب أن تبقى لى فى نفسك شيئًا من الاحترام القديم .. يجب أن أكون دائمًا فى نظرك أنت على الأقل « صديق باشا رفقى » !..

طلعت : « صديق باشا رفقى » ؟!.. أنت ؟!..

صديق : أتجهل ذلك ؟.. تجهل أنى هو ؟!..

طلعت : أنت هو ؟!.. أنت هو ؟!..

(**يضحك ضحكة عصبية** ......)

صديق : (**فى رعدة خوف**) لطفك يارب !.. (**فى نبرة توسل**) لا يا طلعت !.. أرجوك .. لا تفعل معى ذلك .. أنت الوحيد الذى يعرف حقيقتى .. فإذا كنت ستتجاهل أو تتخابث أو تفقد صوابك ، فماذا يكون مصيرى ؟.. أتوسل إليك لا تخيفنى هكذا .. نادنى باسمى أطمئن عليك أو على نفسى !..

طلعت : اسمك ؟..

صديق : نعم .. قل لى يا « صديق » .. يا « صديق رفقى » !..

طلعت : (**يحملق فيه**) « صديق رفقى » .. أنت ؟!..

(**يضحك ضحكة عصبية** ..)

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) ومن أكون غيره ؟.. أترانى جننت ؟.. « طلعت » !.. أتريد أن تفقدنى عقلى أيضًا .. قل لى الحقيقة .. لى أنا وحدى على الأقل .. بينى وبينك .. أرجوك .. تكلم ..

من أنا ؟.. ألا تعتقد حقًا أنى « صديق باشا رفقى » !.. أتشك فى أنى هو ؟!..

طلعت : أنت هو ؟..

(**يضحك ضحكا هستيريا** ......)

صديق : (**يلاحظه فى خوف ويأس**) أتراني أحلم ؟!.. أتراني أنتحل شخصية الباشا وهمًا !..

طلعت : أنت هو ؟..

(**يضحك الضحك الهستيرى** ...)

صديق : (**بقوة**) نعم .. أنا هو .. إنى متأكد .. رأسى فوق كتفى بخير .. ولكنك أنت الذى فقدت صوابك ولا شك .. هذه الضحكة العصبية .. وهاتان العينان الجاحظتان .. وهذه الحركة المضطربة .. رأسك متعب يا طلعت .. ومن العبث أن أحادثك الآن ..

طلعت : (**صائحا فجأة**) أنت هو ؟.. هذا احتيال .. احتيال .. احتيال ..

(**تدخل « لطفية ».. وخلفها خادم يحمل صينية الشاى** ....)

لطفية : لماذا تصيح هكذا يا « طلعت » ؟..

صديق : (**للطفية**) أرجو أن تسرعى إليه بالشاى .. لعله يهدىء أعصابه ...

طلعت : (**صائحا**) تتهامسان على ؟!..

لطفية : لنسرع إليك بالشاى .. (**تضع قطعتين من السكر فى الفنجان**)

طلعت : (**صائحا**) ماذا تضعون لى فى الفنجان .. لقد رأيت بعينى ..

لطفية : السكر طبعا !..

طلعت : بل المخدر !..

لطفية : مخدر ؟!..

صديق : (**همسا**) إنه ليس فى حالة طبيعية !..

طلعت : (**لصديق**) ماذا تقول لها ؟!..

صديق : لا شيء. إنك متعب.. من رأيى أن تذهب فى الحال إلى فراشك .

طلعت : تريدون أن أنام ؟!.. نعم .. هذه هى خطتكم المدبرة .. ولكنى لن أنام ..

لطفية : لا أحد يرغمك على النوم يا عزيزى « طلعت » .. اشرب الشاى أولا .. ربما أفادك !..

طلعت : (**يهجم عليها صائحا**) وضعت لى فيه المخدر.. لن أشرب لن أشرب!.. مؤامرة لخطفى .. أنتم كلكم متآمرون ... مع الإرهابيين ..

صديق : (**يسرع ويمسك بيديه قائلا للطفية والخادم :**) ساعدنى لنجلسه فى هذا المقعد ..

طلعت : (**صائحا وهو بين أيديهم ليجلسوه**) يخطفوننى!.. يخطفوننى!...

لطفية : (**للخادم**) المنشفة لمسح العرق على جبينه والزبد على فمه !..

طلعت : (**صائحا محاولا التخلص**) يريدون خطفى.. يريدون إخفائى..

صديق : (**للطفية**) استدعى الطبيب !..

طلعت : (**يحاول التخلص صائحا**) يخطفوننى .. الإرهابيون يخطفوننى .. النجدة النجدة !..

(صديق والخادم يمسكان « طلعت » بقوة بينما تتجه لطفية مسرعة إلى التليفون ...)

(ستار)

المنظر الثانى

(عين المنظر السابق فى منزل « الدكتور طلعت ».... ولكن البهو يبدو عليه الإهمال ، وزهورالأوانى قد ذبلت وتركت فى موضعها .. « لطفية » ترتب فى حقيبة كبيرة مفتوحة بعض الثيـــاب الخاصة بالرجـــال ... يعـــاونها فى ذلك « صديق » !.....)

لطفية : (وفى يدها بذلة تطويها) حاذر يا « صديق »... لا تضع القمصان هكذا فى قاع الحقيبة !.. ستنكسر.. . اجعل القاع للملابس الداخلية ، وأفسح مكانا عندك لهذه البذلة الخفيفة .. الطقس فى حلوان آخذ فى الحرارة .. وهو كما تعلم كثير العرق .. ما بالك ؟.. ما بالك شارد اللب ؟!..

صديق : (يلتفت إليها) أنا ؟!.. لا ... لا شىء ...

لطفية : معذورة .. الجو حولنا مقبض .. مضى ما يقرب من شهر ونحن فى حبس .. بل فيما هو شر من الحبس .. « طلعت » فى تلك المصحة لم تتحسن حالته.. وأنا مضطرة إلى الحياة بجانبه هناك .. وأنت قد شاءت عواطفك الكريمة أن تلبى ندائى وألا تحرمنى معونتك ومودتك و ... ولا أريد أن أطمع منك الآن يا « صديق » فى أكثر من ذلك ...

صديق : أنا الذى أطمع فيك أكثر مما ينبغى .. إنى خجل من حياتى هذه يا « لطفية » ..

لطفية : لا تقل هذا !...

صديق : كم صار المبلغ الذى أقرضتنى إياه حتى الآن ؟!..

لطفية : لا تتكلم فى النقود يا « صديق » .. أرجوك .. قلت لك غير مرة إن هذا دين بسيط ستسدده إن شاء الله عندما تعين فى وظيفة .. أنت شاب ذكى ..حامل لليسانس الحقوق.. ولا بد أن تجد فى القريب وظيفة محترمة .. لقد كنت على وشك الحصول عليها .. لولا الحظ السيىء الذى شاء أن يختطف الباشا صاحب والدك .. ليلة ترشيحه لرياسة الوزارة .. وأن يختطف عقل زوجى يوم اهتمامه بأمر توظيفك .. لكن ثق أيها العزيز أن الحظ عندما يتجمع هكذا ضد إنسان ، فإنه يتحول بعدئذ بنفس القوة إلى صفّه .. كما تتحول الرياح مرة ضد الشراع ومرة معه !..

صديق : إنك تعزيننى دائمًا بكلامك اللطيف !..

لطفية : بل أنا التى أسائل نفسى أحيانا يا صديق .. ترى لو لم تنفذ إلى حياتى فى هذا الظرف الموحش .. ماذا كنت أصنع ؟!.. لكأنك نسيم جميل نفذ إلى صحرائى هذه .. الجافة الجرداء .. فرطب قلبى وأنعش روحى ...

صديق : إنى لسعيد يا « لطفية » أن أكون إلى جانبك فى محنتك ..

لطفية : ليس من السهل أن أتأكد من أنك تبادلنى الشعور ..

صديق : و لم لا ؟...

لطفية : لأن هنالك فرقًا بين عينك ولسانك .. نظراتك تبرق أحيانًا بوميض الحب الدافىء .. فإذا نطق لسانك .. خرجت منه كلمات موزونة بميزان العقل الهادىء !..

صديق : لم ألاحظ ذلك !..

لطفية : ولكنى أنا لاحظت .. إن لك عين شاب .. ولسان شيخ !..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) عجبًا !.. يالدقة الملاحظة عند المرأة !..

لطفية : أتسخر منى ؟!.. ثق أنك تحيِّرنى يا صديق .. وتملؤنى غيظًا منك .. وسخطًا عليك ورغبة فى البكاء وذرف الدموع !..

صديق : الدموع ؟!.. لماذا يا « لطفية » ؟..

لطفية : لأنى لا أستطيع فهمك .. ولا أعرف ما أصدق فيك ، ولا ما أتبع ؟.. عينك التى تشجعنى .. أو لسانك الذى يصدنى ؟!..

صديق : وهل يعذبك هذا ؟..

لطفية : وأى عذاب !..

صديق : وهل تعتقدين أن هذا يريحنى ؟..

لطفية : لا أدرى !..

صديق : لا تدرين ؟!.. أتتصورين أن نفسى يمكن أن تكون مطمئنة لذلك مرتاحة له ؟..

لطفية : إذا كانت نفسك غير مطمئنة لذلك ولا مرتاحة له ، فلماذا لا تثور ؟!..

صديق : أثور ؟!..

لطفية : بالتأكيد .. أنت فى سن الثورة .. إذا لم نثر فى شبابنا على الوضع الذى لا يريحنا ، فمتى نثور ؟!.. إنى أنتظر منك كلمة ..

صديق : كلمة ؟!..

لطفية : كلمة واحدة : « لطفية .. إنى أحبك .. ضعى ملابسك فى حقيبة .. ولنهرب معًا إلى أى مكان فى الأرض ! ... »

صديق : وزوجك ؟!..

لطفية : إنى لم أكن بزوجى مغرمة فى يوم من الأيام .. وما من أحد

يرغمني على أن أضيع شبابي بجوار رجل لا أحبه ؛ قد فقد عقله ووضع في مصحة

صديق : والمجتمع ؟.. وما سيقوله الناس ؟!..

لطفية : المجتمع .. والناس ؟!.. أرأيت يا عزيزي صديق ؟! أهذا كلام شاب في مثل سنك ؟!.. أيوجد الشاب الذي يصم أذنه عما يضطرم به قلبه ، ليصغي إلى ما يلغط به الناس ؟!.. أيوجد الشاب الذي لا يندفع خلف عواطفه ، ليقعد جامدًا يفكر في العواقب التي سيرتبها المجتمع ، والنتائج التي ستتمخض عنها الليالي والسنوات ؟!..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) هذه العواقب أبصرها .. وهذه النتائج أعرفها ..

لطفية : من أدراك ؟!.. هل تقرأ المستقبل ؟!..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) أقرأ الماضي !..

لطفية : (**في دهشة**) الماضي ؟!.. أمثلك له ماض ؟!..

صديق : (**يستدرك**) ماضي رجل آخر .. اندفع في شبابه .. وأغوى زوجة زميل .. وكانت مأساة .. لم ينسها له المجتمع في كهولة ولا في شيخوخة !..

لطفية : (**تتذكر**) آه .. تقصد ما حدث للمرحوم « صديق باشا رفقي » في شبابه ؟.. هذه أشياء أصبحت في ذمة التاريخ يبلغنا خبرها اليوم .. ويدهشني أنك تحلها من نفسك محل الاعتبار !..

صديق : ألا يحق لنا أن نعتبر بماضي الغير ؟!..

لطفية : ماضي غيرنا لا يؤثر فينا .. إن الذي يؤثر فينا حقًا هو ماضينا

نحن ..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) ما ضينا نحن !.. نعم .. نعم ..

لطفية : ونحن لم نزل فى ربيع العمر .. لا ماضى لنا بعد يثقل ظهورنا ، ويقعدنا عن الاندفاع بكل قوانا الفتية وعواطفنا الملتهبة وراء ذلك المجهول !... الذى يلمع لنا عن بعد !..

صديق : المجهول ؟!..

لطفية : نعم يا صديق ... هلم بنا نكتشف الحياة معا .. هلم بنا نقرأ معا هذا الكتاب الجديد علينا !..

صديق : (**مطرقا**) واأسفاه !..

لطفية : ماذا بك يا عزيزى صديق ؟!..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) هذا الكتاب الجديد علينا !..

لطفية : لا أراك متحمسا لقراءته ؟!.. أعجب ما فيك هو أنى ما رأيتك قط متحمسا لشىء .. هذه الحماسة التى لا يمكن أن يخلو منها قلب شاب !.. كل فكرة وكل اقتراح تقابله بالتفكر أو التشكك أو الابتسام أو الصمت أو الإطراق .. كأنك عرفت .. وخبرت .. وتحقق أملك .. وخاب فألك .. وليس شىء عليك بجديد !..

صديق : (**يتأملها مليًا**) يدهشنى منك هذا الكلام ؟!..

لطفية : أليس حقا ما أقول ؟..

صديق : أكل هذا استطعت أن تستخلصيه فى المدة التى جمعتنا ؟!...

لطفية : إن المرأة عندما تهتم برجل تستطيع أن تستشف منه ما قد يجهله عن نفسه !..

صديق : هنالك شىء تجهلينه عنى ، لا يمكن لغريزتك ولا لبديهتك أن

تكشفا عنه الستر !..

لطفية : ما هو ؟

صديق : (**يتنهد**) ليتنى أستطيع أن أبوح لك به !..

لطفية : أهناك سر تستطيع أن تخفيه عنى يا « صديق » ؟!.. أتشك إذن فى إخلاصى ؟.. كل شىء أسمح لك أن تشك فيه إلا إخلاصى لك !..

صديق : لا أشك فى إخلاصك يالطفية .. ولكنى .. لا أستطيع .. لا أستطيع الآن !

لطفية : (**تنظر إليه مليًا**) إذا صدق إحساسى أيها العزيز فأنت !..

صديق : (**فى رجفة**) أنا ؟.. ماذا ؟..

لطفية : محزون ... مضطرب ... يائس .. منذ وقت أستطيع أن أحدده لك بالضبط .. بدت عليك السحابة القاتمة عندما قرر الطبيب أن حالة « طلعت » لا يرجى لها شفاء سريع .. ثم جثم عليك الهم الأسود يوم اكتشفوا جثة المغفور له « رفقى باشا » وشيعوا جنازته الرسمية إلى مقرها الأخير !..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) نعم .. بهذا انقطع الحبل !..

لطفية : أى حبل ؟..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) الحبل الذى يصلنى بحياتى ..

لطفية : لا تضحكنى يا عزيزى « صديق » .. أتظن أن الله لم يخلق لك غير هذين الرجلين ليساعداك على شق حياتك ؟!..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) أما أحدهما ففى يده المفتاح الذى يثبت حقيقتى .. وبضياع عقله ضاع المفتاح .. وأما الثانى فبدفنه دفنت أنا ..

لطفية : دفنت أنت ؟... يا له من يأس !.. ومن هذا الذى أمامى ؟!..

صديق : كتاب نزع غلافه وعنوانه ، وألقى به فى الطريق العام !..

لطفية : إن الغلاف والعنوان ليسا كل شىء فى الكتاب !..

صديق : سنرى !..

لطفية : قم يا « صديق » وكافح فى الحياة ، ولا تستسلم لهذا القنوط !..

صديق : (**بقوة**) نعم .. لن أستسلم .. ولن أسلِّم .. لقد دفنوه .. ولكنى سأثبت للملإ أنه لم يدفن ...

لطفية : لم يدفن ؟!.. من هو ؟..

صديق : « صديق باشا رفقى » .. إنه لم يدفن .. إنه ليس هو الذى وضعوا جثمانه أو بقايا جثته فى المقبرة باحتفال رسمى !..

لطفية : ما هذا الكلام يا صديق ؟!..

صديق : سأثبت لك .. انظرى .. (**يخرج من جيبه صحيفة**) هذه إحدى الصحف التى نشرت منذ أسبوعين خبر اكتشاف الجثة فى مغارة جبل المقطم .. أعيد عليك ما لا بد قد قرأته فى حينه ، كى أبين لك ما كمن خلفه .. اسمعى : « أخيرًا أزال التحقيق فى حادث دولة « صديق رفقى باشا » الغموض الذى اكتنف ذلك الاختفاء .. فقد عثر « الجاويش علوان » من مخبرى القلم السياسى على مغارة فى جبل المقطم ، كانت تستخدمها فى إخفاء المفرقعات إحدى الجمعيات الإرهابية التى سبق الحكم على بعض أعضائها فى قضايا الاغتيالات .. وبتفتيش هذه المغارة وجدت فى بعض أركانها بقايا جثة لشيخ فى نحو الثمانين ، منسوفة بالديناميت ، ولكن آثار الثياب دلت على أنها لدولة « صديق رفقى باشا » .. وقد عرضت هذه البقايا والآثار على أسرة

الفقيد ، فاستعرفت عليها ، وأكدت أنها له .. وقد تم القبض على أفراد الجمعية التى ثبت استخدامها للمغارة المذكورة .. ممن كان قد أفرج عنهم فى القضايا السابقة .. والمنتظر أن يمنح « الجاويش علوان » مبلغ الخمسة الآلاف من الجنيهات قيمة المكافأة التى أعلنتها الداخلية لمن يكشف عن سر الحادث !..

لطفية : قرأنا هذا من أيام طويلة مضت !..

صديق : الأمر الذى لا يعلمه أحد .. أو لم يلتفت إليه أحد هو أن « الحاويش علوان قريب لشحاته سائق سيارة الباشا ..

لطفية : وماذا فى هذا ؟..

صديق : قيمة المكافأة مغرية .. ومن السهل على شحاته الحصول على ثياب الباشا ، وتسليمها لقريبه « علوان » .. ومن السهل على « الجاويش علوان » أن يعرف مغارة المتهمين فى قضايا اغتالات سياسية !..

لطفية : والجثة ؟..

صديق : (**يمد إليها الجريدة**) انظرى فى نفس الصحيفة .. فى عمود حوادث العاصمة .. هذا الخبر الصغير الذى لا يسترعى الالتفات عن اختفاء شيخ فى نحو الثمانين يبيع اللب والحمص للأطفال فى حى القلعة ..

لطفية : (**ساخرة**) ما شاء الله !.. « شرلوك هولمز » !..

صديق : لا تسخرى .. هذا هو الذى حصل .. وهكذا رتبت الحكاية ودبرت ولفقت .. طمعًا فى المكافأة .. ودفن بائع الحمص واللب باسم دولة « صديق رفقى باشا » .. ووضعت بقايا جثته ملفوفة فى علم البلاد على مدفع .. تحف به الجنود !.

لطفية : عجبًا لك يا « صديق » ؟!.. ما جدوى أن تجهد خيالك هكذا لتصل إلى هذه الخرافة ؟!.. ولماذا لا تريد أن تعتقد أن الذى شيعت جنازته عسكريا كان فعلا « صديق رفقى باشا » ؟!..

صديق : لأن صديق « رفقى باشا » حى .. حى بلحمه وعظمه ودمه !..

لطفية : حى ؟.. وأين هو إذن ؟..

صديق : أمامك !..

لطفية : (**فى رعدة**) ماذا تقول ؟..

صديق : أنا هو .. « رفقى باشا » ...

لطفية : (**فى صيحة مكتومة مرتاعة**) إلهى !.. إلهى !..

صديق : ثقى يا « لطفية » أنى لا أكذب .. أنا « صديق رفقى باشا » ..

لطفية : (**تنظر إليه فى رعب**) جن هو أيضًا !..

صديق : لا ترتاعى يا « لطفية » .. إنى معك فى أن ما حدث عجيب .. ولكنه الحقيقة .. الحقيقة التى لا يعرفها سوى زوجك « طلعت » .. لقد اكتشف حقنة تمحو الهرم وتعيد الشباب .. جربها فى الأرانب فنجحت ، وجربها فى شخصى فنجحت .. ما من أحد يعرف ذلك سواه .. وسواك الآن .. قلت لك منذ لحظة إن هنا لك سرًا ، لا أستطيع أن أبوح لك به .. ولكن هأنذا لم أستطع أن أخفيه عنك طويلا .. لأنه يضغط على صدرى ؛ ولم يبق لى فى الحياة من يثق بى ويصغى إلى غيرك أنت .. هل ترتابين فى كلامى يالطفية ...؟ تكلمى .. تكلمى .. ولا تنظرى إلى هكذا ... برعب .. أترتابين ؟..

لطفية : (**بصوت خافت مرتجف**) لا ..

صديق : سأثبت لك .. سأقص عليك الأمر بالتفصيل .. اجلسى هنا .. اقتربى منى .. (**يحاول الدنو منها** ...)

لطفية : (**تتراجع عنه صائحة**) لا .. لا تقترب منى ..

صديق : لا تخافى منى يا « لطفية » ... لا تخافى ..

لطفية : إذن فابق فى مكانك .. ولا تتحرك .. (**تتجه إلى التليفون**)

صديق : ماذا تفعلين ؟..

لطفية : أستدعى طبيب المصحة .. على عجل .. إنك متعب يا « صديق » .. الجو المحيط بنا أثر فى أعصابك المرهقة!..

صديق : إنى لست مريضًا بعقلى !.. لا تطلبى الطبيب !.. (**يهم بمنعها عن التليفون**)

لطفية : (**صارخة**) لا تقترب منى.. لا تقترب منى .. قف مكانك .. بعيدًا !.. سأصرخ فى طلب النجدة .. سأصرح !..

صديق : (**يجلس**) لا تصرخى !.. اهدئى يا « لطفية » .. جلست فى مكانى ... لا ترعبى منى ولا تخافى .. إنى كنت أمزح !...

لطفية : كان مزاحًا منك !..

صديق : طبعًا !..

لطفية : (**تتنفس الصعداء**) آه .. قل لى هذا يا صديق .. لقد كاد دمى يهرب من الرعب .. ومن الفجيعة عليك !..

صديق : اطمئنى!.. لقد أردت أن أثبت لك أنى أستطيع المزاح .. والتحمس فيه .. كما يفعل الشبان .. بقية الشبان !..

لطفية : الحمد لله !.. (**تجلس**) فلنضحك إذن على « نكتتك » .. ولو متأخرًا .. ثق يا « صديق » أنك لو لم تبلغ فى إتقان التمثيل إلى هذا الحد المخيف ، لأثار مزاحك أظرف المرح .. ومع ذلك لم

يفت الأوان .. هلم نضحك معًا .. « صديق باشا رفقى » !..
(**تضحك**) الله يرحمه !.. كل ما بينكما من تشابه هـو : الاسم !..

صديق : (**يتكلف الضحك**) حقًا ..

(**يرن جرس الباب الخارجى**)

لطفية : (**تنهض**) الباب !.. ترى من يكون القادم !؟.

(**تتجه نحو باب القاعة مستطلعة ....**)

صديق : (**مخاطبا نفسه مطرقا**) قضى الأمر !.. فلتندفن الحقيقة إلى الأبد !.. لن يصدقها أحد !..

لطفية : (**على العتبة صائحة**) نبيلة !.. مدحت !..

(**تظهر « نبيلة » فى ثياب الحداد .. وخلفها « مدحت » فى ملابس قاتمة ورباط رقبة أسود اللون ......**)

نبيلة : إنى متأسفة يا « لطفية » .. لم أتمكن من المجىء إلا اليوم .. لشكرك على مواساتك لنا فى مصابنا ...

لطفية : وكيف حال « تيزة » !؟..

نبيلة : « ماما » كما تعلمين لم تزل ملازمة البيت .. لا تخرج إلا أيام الخميس .. لتوزيع الرحمة فى المدفن على روح المرحوم .. و « طلعت » كيف حاله الآن ؟!..

لطفية : كما هو . ها نحن نحمل إليه ملابس خفيفة تناسب الطقس فى « حلوان » !..

نبيلة : (**تلتفت إلى « صديق » الواقف**) الأستاذ صديق .. (**تحييه**) تعرف طبعا مدحت خطيبى ...

صديق : (**وهو يحييه**) لعله نسينى .. لقد قدمتنى إليه ..

مدحت : (**يتذكر**) نعم .. نعم .. ليلة المأتم .. عندما صعد يعـزى الست الكبيرة ..

نبيلة : (**لصديق**) هذه فرصة لأقدم لك بلسانى ولسان « مامـا » جزيل شكرنا على تعزيتك لنا .. وحضورك المأتم وتشييعك الجنازة ..

صديق : (**يطرق متمتما**) واجب !..

نبيلة : أرجو أن تكون وجدت الوظيفة التى تريدها !..

لطفية : كادت المساعى تنجح بالفعل .. وكان يتباحث مع زوجى فى ذلك .. لكن شاء سوء الحظ أن يصاب « طلعت » بمرضه يومئذ بالذات !..

صديق : حقًا من سوء حظى !..

نبيلة : لا بأس !.. أمامك الأيام ...

لطفية : اجلسوا ... لماذا أنتم وقوف !.. سأطلب قهوة .. (**تتحرك**)

نبيلة : (**تستوقفها**) لا يا « لطفية » ... لا داعى ... سننصرف بعد لحظة ... أمامنا مشاغل كثيرة .. أولها البحث عن سكـن مناسب .. « مدحت » مصر على عقد القران بعد الأربعين مباشرة .. طبعًا مراعاة للحداد لن تكون هناك حفلة !..

مدحت : حفلة عائلية بسيطة !..

نبيلة : بسيطة جدًا يا « مدحت » .. حتى لا يستاء المرحوم أبى فى قبره !...

صديق : ثقى أنه لن يستاء ...

مدحت : هذا رأيى .. بل قد يسره أيضًا أن نحضر فى ليلة الحفلة مغنية معروفة تزفنا ..

نبيلة : مغنية ترفنا ؟!.. لا .. كل شيء إلا الغناء والزفة .. هذا لا يمكن أن يرضى أبي !..

مدحت : أيرضيه أن تزفه إلى قبره موسيقى الجيش .. ولا يرضيه أن تزفك مغنية إلى عريسك !..

لطفية : كلام فى محله ...

نبيلة : أبى لم يرض ولم يكره .. الميت ليس له إرادة .. الدولة هى التى أرادت ، أن تتوج خدماته الطويلة بهذا التشييع الرسمى بالموسيقى والجنود !..

مدحت : فليكن !.. لقد خرج على كل حال من الدنيا ، بعد حياة مديدة وخدمات عديدة ، أجمل خروج .. أفيأبى على شبابنا أن يدخل الدنيا أجمل دخول !..

صديق : ومن قال إن لديه مانعًا من أن تدخلوا الدنيا بالموسيقى كما خرج ؟!..

مدحت : سيقال إن هذا ليس من حقنا ..

نبيلة : نعم ستقول ماما إن هذا مستحيل .. وإن الناس سيعيبون ذلك التصرف علينا .. وسينتقدونه الانتقاد المر .. ولن يغتفروه لنا أبدًا ..

مدحت : (**صائحًا**) وما شأن الناس بنا .. وماذا يهمنا نحن من أمر الناس .. فليعيبوا كما يشاءون .. ولينتقدوا كما يحلو لهم .. لن نحفل بالناس .. ولن يقعدنا كلامهم عن الظفر بما نريد .. والجرى وراء ما نشتهى ..

لطفية : مرحى !.. مرحى !.. هذه حقًا لغة شاب !.. ثُرْ يا « مدحت بك » على أفكار الناس .. واندفع وراء رغبتك !..

صديق : ليس فى كل الأحوال ، وإلا ندمت فيما بعد ..

مدحت : فيما بعد ؟.. متى ؟..

صديق : يا للشباب الذى لا يبصر إلا بالعاطفة .. وياللعاطفة التى لا تبصر أبعد من حاضرها !..

مدحت : إنى على كل حال لست عاطفيا .. أليس كذلك يا نبيلة ؟..

نبيلة : هذا كان رأيى فيك أولا .. ولكن عشرتى لك أخيرًا ، صححت فيك نظرتى الخاطفة الأولى .. فأنت يا « مدحت » متأجج العاطفة فى دخيلتك .. ولكنك تعمد أحيانا إلى إخفاء ذلك .. لتبدو فى صورة المهندس الجاد ورجل الأعمال الجامد الشعور !..

مدحت : (**باسما**) وما الذى تفضلين منى ؟!..

نبيلة : أفضلك كما أنت .. كما اكتشفتك آخر الأمر .. عاطفى لى وفى بيتك .. جامد الشعور للناس وفى عملك !..

مدحت : ثقى أن كل ما عندى من عاطفة سأضعه بين يديك .. لأن مشروعاتنا التى تعرفينها ستستنفد كل ذخيرتى من جمود الشعور !..

نبيلة : (**للجميع**) حقًا .. مشروعات « مدحت » سوف تحدث حدثًا فى القاهرة .. ولا أقوم بالدعاية لها الآن .. ولكن سوف تسمعون بخبرها قريبًا .. أولا « يالطفية » .. « مدحت » لن يسافر إلى الخارج .. عدل عن بعثة وزارة الأشغال !..

صديق : (**بدون وعى**) لماذا ؟.

مدحت : ما الداعى سأعود بعد ثلاث سنوات لأمنح الدرجة الرابعة !..

صديق : ستعود مسلحا بأرقى الشهادات ، التى تؤهلك فيما بعد للترقى

السريع ..

مدحت : مهما يكن من أمر الترقى السريع .. كم سيبلغ مرتبى فى نهاية الشوط ؟!..

صديق : ستحتل أعلى المناصب إن شاء الله !..

مدحت : هذا تفكير عتيق .. أعلى المناصب لن تمنحنى فى عام ما يدره على مشروعى فى شهر !..

نبيلة : « مدحت » لا يريد وظيفة .. ولا يحب أن يربط إلى مكتب فى مصلحة .. ولكنه سينطلق بجرأة إلى ميدان الأعمال الكبرى .. سينشىء حيًا بأكمله على أرض مدينة الأوقاف الجديدة !..

لطفية : (**بإعجاب**) حى بأكمله !.. مشروع ضخم !..

نبيلة : ونافع .. لنا وللبلد ..

صديق : (**بهدوء**) ورأس المال ؟!..

نبيلة : رأس المال موجود .. أنسيتم أنه ستؤول إلىّ من تركه المرحوم أبى ثروة كبيرة ؟!..

صديق : (**بدون وعى**) أبوك !.. تضيعين ثروته التى جمعها طول العمر فى مشروع وهمى ،..

مدحت : مشروع وهمى ؟!.. هل درسته حضرتك ؟.. هل تعرف شيئًا عنه ؟.. ساهمت فيه بمليم ؟.. بأى حق تتكلم هكذا؟!..

صديق : (**مأخوذًا**) بأى حق ؟!..

لطفية : إنى أعرف لماذا يتكلم صديق هكذا ؟!.. إنه قليل الجرأة .. لا يستطيع الاندفاع فى مشروع أو الثورة على وضع .. أو الإقدام على فكرة ..

مدحت : (**لصديق**) من رأيك إذن أن أحبس فى وظيفة صغيرة .. وأن

تحبس زوجتى ما لها فى المصارف كما حبسه أبوها من قبل ؟!..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) لو كان أبوها يعلم أن ماله سينفق يومًا بهذا التهور ..

مدحت : تهور ؟!.. هكذا تسمى الشجاعة والابتكار والتجديد والبناء ؟!..

لطفية : إنك كالنغمة النشاز بيننا يا صديق .. أرجوك لا تبالغ .. (**للجميع**) لاحظوا أنه يتقن دائمًا تمثيل دور المسن بعزمه البطيء وحكمه المتئد .. تلك هى فيما أرى هوايته الغريبة ، التى كادت تصبح فيه طبيعة !...

نبيلة : حقا .. كلامه يصح أن يصدر عن المرحوم أبى !..

مدحت : المرحوم أبوك الآن فى ذمة التاريخ !.. من حسن حظنا !.. (**يستدرك**) معذرة يا « نبيلة » .. لم أقصد جرح إحساسك .. بل لم أقصد الإشارة إلى المغفور له والدك بالذات .. إنما أردت إطلاق الكلام على وجه عام ..أبوك و أبى وجدك وجدى ..كل أولئك قد ذهبوا بآرائهم وتفكيرهم وتجاربهم ، بعد أن عاشوا عصرهم ، وعملوا عملهم ، وتركوا لنا ميراثهم ، نتصرف فيه من بعدهم طبقًا لما تراه عيوننا الجديدة وعصرنا الجديد .. فلو أنهم بقوا معنا دائمًا ، يدبرون أمورنا بما اعتادوا عليه ، لما تغير أو تجدد فى الدنيا شيء .. ما من شك فى أننا نحبهم ونقدر جهدهم ونقدس ذكرهم ونشكرهم على ما تركوه لنا .. ولكن ثقى يا عزيزتى « نبيلة » أن خير ما يمكن أن يتركوه لنا هو أن يتركونا فى الوقت المناسب !..

نبيلة : (**تخرج منديلها وتكفكف دمعها**) هلم بنا يا « مدحت » .. إلى شأننا !.. (**تمد يدها إلى « لطفية »**) إلى اللقاء يا « لطفية » .. سنزور « طلعت » قريبًا فى المصحة !..

لطفية : شكرًا يا « نبيلة » !..

نبيلة : (**تتجه إلى صديق**) إلى اللقاء يا أستاذ « صديق » !..

صديق : (**محاولا أن يخفى تأثره متمتما**) أتمنى لك حياة سعيدة !..

(**مدحت يسلم على الجميع فى صمت .. ويخرج هو ونبيلة . تشيعهما « لطفية » إلى الباب .. بينما يبقى صديق مطرقًا ...**)

صديق : (**كالمخاطب نفسه هامسًا**) خير ما يمكن أن يتركوه لنا !.. هو أن يتركونا فى الوقت المناسب !..

(ستار)

الفصل الثالث

(مصحة فى « حلوان » حديقة المصحة بها بعض المقاعد ، وقد جلست « لطفية » على مقعد تحت شجرة وإلى جوارها زوجة الباشا « جليلة هانم » فى ثياب الحداد ...)

زوجة الباشا : ثقى أنى كنت أسأل ابنتى « نبيلة » أولا بأول عن صحة طلعت .. ولولا ظروفى التى تعرفينها لما تأخرت عن زيارته إلى اليوم يا « لطفية » ...

لطفية : إنى مقدرة ظروفك يا تيزة !..

زوجة الباشا : هذا أول يوم أخرج فيه لزيارة بعد « الأربعين » !..

لطفية : إنى متشكرة !..

زوجة الباشا : وجود « طلعت » فى هذه المصحة الهادئة لا بد قد أراح أعصابه .

لطفية : الحمد لله يا تيزة .. الواقع أن هناك بعض التحسن فى حالته . هذا ما يؤكده الآن طبيبه المعالج .. ومالا حظناه نحن بأنفسنا .. فهو لم يعد ينزعج لمرأى الناس كما كان يفعل من قبل .. و لم يعد يعتقد أن كل من يقترب منه يريد خطفه !.. بل بدأ يأنس إلى الجميع .. وبدأت عيناه ترسلان النظرات الهادئة الباسمة المطمئنة ..

زوجة الباشا : عندما سيرانى الآن سيعرفنى ؟..

لطفية : ربما .. إن أزمته الحادة كانت فى ذلك الرعب الذى ينتابه من فكرة وهمية .. وهذه قد خفت وطأتها .. وأما فيما عدا ذلك

فهو دمث لطيف ... وإن كان لم يزل مختلط الذاكرة فى أشياء كثيرة من شئونه وأعماله ومعارفه ...

زوجة الباشا : أسأل الله يا « لطفية » أن يرد إليك قريبًا زوجك صحيحا معافى .. إنى أرثى لك وأرثى لنفسى .. كل منا فجعت فى زوجها فى نفس الأسبوع !..

لطفية : قواك الله يا تيزة وألهمك الصبر .. إن للباشا فى قلوبنا جميعًا ذكرى لا تنسى ..

زوجة الباشا : فى مثل سنى أنا يا «لطفية» تتعذر الحياة بعيدًا عن هذه الذكرى. « صديق » هو كل ماضى وكل شبابى وكل حياتى .. لا أستطيع التفكير فى ماضىّ بدون التفكير فيه .. ولا يمكن التفكير فيه بدون التفكير فى الماضى ، والماضى لمثلنا هو كل ذخيرتنا .. أما الباقى لنا فى الحياة فأيام فارغة نقضيها فى التحسر على زماننا ، وفى انتظار نهاية عمرنا ..

لطفية : عمر مديد إن شاء الله !..

زوجة الباشا : وماذا أفعل بالعمر المديد يالطفية ؟.. هل سأضع به مستقبلا جديدًا ؟!. المستقبل لكم أنتم .. نحن يكفينا الماضى .. (**تنظر فى ساعتها** ...) الأولاد نسونى !...

لطفية : اعذريهم يا تيزة .. مشاغلهم كثيرة !..

زوجة الباشا : أكدت لى « نبيلة » أنها ستكون هنا مع « مدحت » قبل الخامسة والنصف .. لنعود معا إلى البيت ..

لطفية : أنت تعرفين ما هما فيه الآن ؟!..

زوجة الباشا : حقا ليس فى رأسيهما غير عقد القران .. وتأسيس حياتهما الجديدة .. ووالله لولا تدخلك يا « لطفية » ورجاؤك وإقناعك

وإلحاحك ما وافقت على هذا الإسراع المعيب فى عقد القران بعد « أربعين » الباشا بأيام !.. دون مبالاة بعوايد ولا عرف ولا تقاليد ولا أصول !..

لطفية : دعيهما يفرحا .. لا شىء ينكد على العروسين مثل هذه العقبات !.. بالله يا تيزة لو لك مثل هذا فى شبابك ، ماذا كنت تصنعين ؟..

زوجة الباشا : بينى وبينك .. حدث .. كانت فى أيامنا عوائد تقضى بأن تمضى بين تقديم الشبكة وعقد العقد فترة طويلة.. وبين العقد والدخلة فترة أطول .. وقبل الدخلة أفراح فى ليال متعددة متعاقبة ، تحييها العوالم بالطبلة والرق والصاجات ، كانت تسمى « الضميات » . كل هذا كان يبدو فى عينى أنا العروس بطيئًا مملا سخيفًا .. وكنت أسأل بصبر نافد عن نهاية هذه الإجراءات .. فكان العجائز يقلن لى : « عيب .. عيب .. أيوجد بنت تظهر لهفتها أو تسرعها !.. »

لطفية : (**باسمة**) أرأيت يا تيزة ؟!.. « نبيلة » و « مدحت » إذن لهما حق ..

زوجة الباشا : لست أنكر ذلك ... كلنا فى الشباب كنا متعجلين ، متلهفين على المستقبل .. لأنه كان كل ما نملك .. لم يكن لنا الماضى بعد .. ولكن ضعى نفسك يا « لطفية » فى مركزى الآن .. إنى مقيدة ..

لطفية : ولكن الشباب غير مقيد !..

زوجة الباشا : عارفة ... ولذلك نختلف ونصطدم .. ولكنك أنت يا « لطفية » التى توسطت فى المسألة ، كنت أود أن تفهمينى ..

لطفية : لا تؤاخذيني يا تيزه !.. لا أستطيع أن أفهم غير شعور « نبيلة » ومدحت !..

زوجة الباشا : جيلك!. صدقت.. ليس من السهل عليك أنت أيضا أن تفهميني. ثقي أني لست ظالمة ولا متعنتة .. إني أحب لا بنتي أن تفرح اليوم قبل الغد .. ولكن ماذا أصنع ؟.. الأيام علمتني أن هذا التصرف جائز ، وأن هذا التصرف معيب !..

لطفية : أيامنا الناشئة لم تعلمنا بعد شيئا غير أن نفرح بشبابنا !.. افرحي معنا يا تيزة .. ووافقي من كل قلبك ، واذكري أيامك الأولى عندما كنت تسمعين من العجائز كلمة « عيب يا بنت » فتضحكين !..

زوجة الباشا : (**تهز رأسها تجمد عينها تذكرًا للماضي**) صدقت يا « لطفية » .. صدقت !.

(**تظهر عندئذ « نبيلة » حاملة باقة زهر ... وخلفها « مدحت » يحمل صندوقا من الحلوى**)

نبيلة : تأخرنا عليك قليلا يا ماما !.. كنا نبحث في الدكاكين عن « بابيون » أبيض لسترة « مدحت » ..

مدحت : بل سبب التأخير الحقيقي الحذاء الفضي الذي يجب أن يتمشى مع ثوب العرس !..

زوجة الباشا : ما علينا !... ما علينا !.. النتيجة واحدة !..

نبيلة : (**تشير إلى باقة الزهر**) هذه لـ « طلعت » .. كيف حاله الآن يا « لطفية » !..

مدحت : (**يشير إلى صندوقه وهو يضعه على مقعد**) وهذا له .. أرجو أن تكون صحته قد تحسنت !..

لطفية : متشكرة جدًا .. إنه الآن فى حجرته .. معه الشاب « صديق » .. سأرى إذا كان من الممكن أن نصعد إليه ؟..

(**تتحرك**)

بيلة : لا تقلقى راحته .. (**تنظر فى ساعتها**) الوقت الآن غير مناسب .. سنمكث معك لحظة .. ونمضى بـ « ماما » إلى البيت ، ثم نذهب إلى عمل هام ، أنا و « مدحت » !..

مدحت : (**مصادقا**) نعم .. نعم ..!..

لطفية : (**باسمة**) دائمًا فى عجلة !.. أعرف ذلك .. وكنت أدافع عنكما الآن أيضا .. اسألا « تيزة » !؟..

زوجة الباشا : حقا .. ما أسعد حظكما بهذا المحامى !..

نبيلة : « لطفية » مثل أختى .. ولا يدهشنى أن تقف دائما إلى جانبى !..

(**صديق يظهر من مبنى المصحة**)

صديق : (**موجها الكلام إلى لطفية**) « طلعت » يريد الخروج إلى الحديقة قليلا ..

لطفية : ولم لا ؟.. على شرط أن يضع على كتفيه غطاء .. لحظة عن إذنكم ... أنا أخرجه بنفسى ..

(**تتحرك بسرعة نحو مبنى المصحة**)

(**صديق يتقدم إلى جليلة هانم مسلمًا فى شىء من التأثر المكتوم ؟...**)

زوجة الباشا : كيف حالك يا ابنى !..

صديق : لمحتك منذ يومين فى المقصورة بدار الأوبرا .. فى حفلة التأبين بمناسبة مرور الأربعين !..

زوجة الباشا : كنت حاضرا فى حفلة تأبين الباشا ؟!.. إنى لم أرك .. أين كنت ؟..

نبيلة : (**وهى تسلم عليه**) كان فى « الصالة » .. رآك مدحت .. وهمس فى أذنى مشيرًا إلى موضعك ..

مدحت : (**وهو يسلم عليه**) نعم .. فى الصف الثالث قبل الأخير .. أليس كذلك ؟..

صديق : بالضبط !..

زوجة الباشا : فى ذيل « الصالة » !.. ولماذ لم تأت وتجلس معنا فى المقصوره ؟!..

صديق : (**متمتمًا**) بأى حق !..

مدحت : (**بدون وعى**) حسنًا فعل !.. إنه كان فى خير مكان يستطيع منه التسلل خارجًا من هذه الحفلة فى أى وقت شاء !.. بينما نحن فى المقصورة كنا مرغمين على حضورها إلى النهاية !..

صديق : أنا أيضًا حضرت هذه الحفلة من المبدأ إلى النهاية !..

مدحت : وما الذى يضطرك أنت إلى تحمل هذا ؟!..

صديق : أكانت مملة إلى هذا الحد ؟!..

مدحت : وكانت طويلة .. طويلة !..

زوجة الباشا : لم ألاحظ ذلك بالمرة يا مدحت !..

صديق : ولا أنا !..

مدحت : (**لزوجة الباشا**) أنت يا تيزة كنت تبكين طول الوقت .. وكذلك نبيلة فى أول الأمر .. ولكن عندما توالت القصائد والمنظومات والخطب الرنانة الفارغة ، يلقيها بعض أنصار الحزب ، ويصفق لها بعض الأذناب والمأجورين والمتفرجين

والمتطفلين ، كفكفت «نبيلة» دمعها وجعلت تغمزنى و تسألنى هامسة عمن حضر من أقطاب الحزب وعمن لم يحضر !..

نبيلة : لقد دهشت حقًا من أن رئيس الحزب ووكيله لم يحضرا ، واعتذرا وأنابا عنهما عضوًا غير بارز .. أما الحكومة فلم ترسل غير موظف صغير .. لم أر أحدًا ذا مقام فى الحفلة .. وهى أول حفلة تأبين تقام لدولة « صديق باشا رفقى » !.. فكيف إذن سيذكرونه فى الأعوام القادمة !..

زوجة الباشا : حقًا يا نبيلة !.. لقد لاحظت هذا الجحود والنسيان والإهمال وكتمت همى فى نفسى .. ثم حمدت الله أن زوجى فى التراب لا يرى ما نرى من انصراف زملائه وأهل بلده عن ذكراه !..

صديق : هبى يا سيدتى أن زوجك شاهد الحفلة ، ورأى منها ما رأيت .. ماذا كان يصنع ؟!..

نبيلة : (**بسرعة**) أنا أعرف ماذا كان يصنع .. كان يغادر الحفلة بعد بدئها بقليل ساخطًا صائحًا : « أهذا هو الخلود فى بلدنا ؟!..

صديق : من رأيى أنا أنه كان يبقى إلى آخرها .. يصغى إلى كلمة تقال بلذة ومتعة .. ويراقب كل وجه و كل حركة بحرص واهتمام .. كان بالطبع يتألم جدًا من غياب رجال الحزب وأعضاء الحكومة والأصدقاء والزملاء ... ويستمع إلى تلاوة برقياتهم التى يعتذرون فيها بالمرض أو السفر أو الارتباط بالموعد السابق .. وينظر إلى من نابوا عنهم وهم يخرجون ساعاتهم خلسة متبرمين ، منتظرين قرب الفرج .. بينما الخطباء يتشدقون متباطئين بالكلام المرصوص ... والشعراء يتمهلون بالشعر المنظوم .. لأنها فرصتهم التى يروون فيها عطشهم إلى التصفيق .. أما الفقيد فكل

ما قالوه فيه ينطبق على كل فقيد؛ لأن الذين يجهلونه هم الذين تكلموا، والذين يعرفونه هم الذين صمتوا.. ولكن على الرغم من كل ذلك فإنه لا يستطيع أن يغادر الحفلة.. ولا أن يجدها طويلة مملة.. على النقيض.. إنه يتمنى أن تطول.. وأن يبرز فى ختامها خطيب مجهول. أو تضاف قصيدة فوق البرنامج.. كل فضيلة تلصق به يرى لها أصلا.. وكل فضل ينسب إليه يرده إلى موضع أو موقف.. إنه يقيم فى رأسه شخصيته الماضية من جديد، على ضوء هذا المديح المفرط.. من يدرى؟.. ربما كان هو قد جهل نفسه.. وإن حقيقته هى تلك التى صورها هؤلاء الخطباء والشعراء الذين يجهلون!.. أليس هذا من الجائز؟!.. لم لا يصغى إلى كل كلمة تقال فيه ويقدرها قدرها.. لعل فيها مفتاح ذاتيته.. وسر شخصيته.. نعم.. هذا ما كان يفعله فى حفلة تأبينه.. كان يبقى إلى آخر دقيقة ويستمع إلى آخر شخص.. ويصغى إلى آخر كلمة..

مدحت : ربما.. إن الإنسان الذى يمضى إلى بحر النسيان، ليتشبث بقشة من بيت شعر!..

نبيلة : إنكم لا تعرفون أبى..ثقوا أنه كان يثور..ويترك مثل هذه الحفلة ويذهب!..

مدحت : نرجو ذلك.. إنه على كل حال لو فعل ما قاله صديق الآن وما صوره لكان رجلاً أنانيًا يتصيد المدح الرخيص، ولا يرتفع إلى مستوى الرجل العظيم!..

زوجة الباشا : ما من أحد منكم يعرفه كما أعرفه.. زوجى كان رجلا عظيما!..

صديق : (**يخفى تأثره**) يا سيدتى.. إنك تعرفينه فى حياته.. ولكن بعد موته ما من أحد يعرفه.. حتى ولا هو نفسه..

زوجة الباشا : ماذا تقصد؟..

صديق : أقصد أن الموت قد يغير الإنسان .. هل ندرى ما تصير إليه شخصية إنسان بعد موته ؟!.. بعد تغير الصلة التى كانت تربطه بمجتمعه ؟..

زوجة الباشا : هذا كلام لا أفهمه .. كل ما أعرف هو أن زوجى فى حياته وموته رجل عظيم .. عاش فى خدمة بلده ... ومات فى خدمة بلده ... وأنه كان يستحق من بلده أكثر من ذلك الذى رأيته ..

مدحت : لا تتهموا البلد !.. إن البلد الناهض ينظر إلى الأمام ، ولا يلتفت إلى الخلف !..

زوجة الباشا : (**بقوة**) « صديق رفقى » هو أحد الكبراء الذين مهدوا الطريق ودفعوا البلد إلى الأمام ... ولا أسمح لك يا مدحت ولا لغيرك أن ينقص من قدر هذا المقام ، ولا أن يهون من شأن ذلك الرجل الكريم !..

صديق : (**بتأثر**) ما أكرم نفسك أيتها الزوجة الصالحة الوفيه !.. وما أطهر قلبك !.. وما أثبت إخلاصك !.. وما أسعد زوجك بك !.. (**يستدرك**) لو كان حيًا .. ورأى منك ما نرى !.. أنت حقًا الشريك الذى قاسمه حلو الحياة ومرها ، وعاش بذكراه ، ودافع عن أثره ، وفهمه حيًا وميتًا .. بينما كل شخص وكل شىء قد بدا غريبا عنه .. ما أكثر الغرباء فى الدنيا الواحدة !.. والبلد الواحد !.. والبيت الواحد !.. ولكنك أنت ما زلت الوطن الرءوم لهذا الغريب الشارد . فى عالمه الآخر !..

زوجة الباشا : يسرنى أن أجد من يفهمنى !.. إنى أشكرك أيها الشاب .. وأعجب لهذا القول السديد .. هذا كلام أكبر من سنك !..

نبيلة : لا تعجبى يا « ماما » .. إنه هكذا دائما !..

زوجة الباشا : لكم أود أن أراك أكثر من ذلك !.. وأن أستمع إلى حديثك .. وأن تطلعنى على أخبارك !..

مدحت : أخباره لا تتعدى أمرًا واحدًا .. البحث عن وظيفة .. (لصديق) بلغنى أنك التحقت بعمل .. أهذا صحيح ؟..

صديق : عمل تافه .. فى شركه زيوت ..

مدحت : شركة زيوت ؟!.. ماذا تصنع هناك ؟..

صديق : أعاون فى تحرير « كشوف » أرقام ... وفى عمليات الجمع والطرح ...

نبيلة : وما هو مستقبلك فى هذا العمل ؟..

صديق : مستقبلى ؟!.. طبعا لا يمكن أن أصل به يوما إلى رئيس وزارة !..

مدحت : حقًا .. شق طريق الحياة صعب جدًا اليوم أمام الشباب !.. لكن اسمع يا صديق .. لى عم مستشار فى محكمه الاستئناف ، أحيل حديثًا إلى المعاش لبلوغه السن ، ومعه آخرون ، وسيترتب على ذلك إجراء حركة قضائية واسعة النطاق .. وعمى يعرف النائب العمومى ... ومن السهل أن يرشحك فى إحدى وظائف مساعدى أو معاونى النيابة التى ستخلو .. ما قولك ؟..

صديق : نعمة من الله !..

زوجة الباشا : نعم .. ساعده يا مدحت .. ساعده من أجل خاطرى !..

مدحت : سأكلم عمى الليلة .. والفرصة سانحة .. والترقيات فى سلك القضاء سريعة .. وطريق المستقبل مفتوح ؛ لأن الشيوخ يخلون المناصب لبلوغهم السن ، فيحتلها الشباب .. ما عليك أنت يا صديق إلا أن تجهز بعض البيانات .. فى أى عام تخرجت ؟..

صديق : (**مرتبكا**) فى أى عام تخرجت ؟!..

مدحت : نعم .. حتى نطالب بمساواتك مع فريق دفعتك !..

صديق : (**مأخوذا هامسًا**) دفعتى ؟!..

مدحت : طبعًا .. كل أوراقك حاضرة .. شهادة ميلادك .. وشهادة الليسانس

صديق : (**كمن يفيق من حلم**) حقًا .. حقًا .. ميلادى ؟!.. شهادة ميلادى الليسانس !.. شهادة الليسانس ؟!.. أين كل هذا .. الآن ؟!..

مدحت : ماذا تقول ؟!

صديق : (**لمدحت**) لا تكلم عملك الليلة .. انتظر حتى أحضر .. البيانات ..لا تكلم عملك.

مدحت : (**ينظر إليه فى دهشة**) ؟

. **(تظهر « لطفية » خارجة من مبنى المصحة ، تسند ذراع « طلعت » اليمنى بينما تسند ذراعه اليسرى ممرضة .. ويتقدمان به ويجلسانه على مقعد مريح تحت شجرة ....)**

لطفية : (**وهى تسوى الغطاء الخفيف على كتفى طلعت**) أصدقاء أعزاء ، تسرك رؤيتهم . تفضلوا علينا بالزيارة !..

زوجة الباشا : (**تتقدم بشىء من الخوف**) أتذكرنى يا دكتور « طلعت » ؟ أنا جليلة حرم ..

طلعت : (**بدون تردد**) حرم « صديق باشا رفقى » . طبعًا .. طبعًا .. إنى سعيد برؤيتك ..

زوجة الباشا : أنا السعيدة إذ عرفتنى أول وهلة .

طلعت : عرفتك ؟.. وكيف لا أعرفك ؟..

نبيلة : (**تتقدم بوجل**) وأنا .. « نبيلة »

طلعت : (**باسمًا**) كيف حالك يا نبيلة ؟.. لقد ازددت جمالا ، وازداد قوامك اعتدالا .. أمسكى الخشب !

لطفية : (**تتناول باقة الزهر**) هذه الأزهار الجميلة يا « طلعت » من « نبيلة » ...

طلعت : (**يتأمل الأزهار**) ما أبدع ذوقها حقًا !.. متشكر يا « نبيلة » ..

لطفية : (**تناول الأزهار للممرضة**) ضعيها فى حجرته من فضلك (**ثم تأخذ الصندوق وتريه لطلعت**) وهذه علبة حلوى فاخرة من مدحت .

(تناولها للممرضة **التى تحمل هذه الأشياء وتنصرف بها من حيث ظهرت** .....)

طلعت : شكرًا يا مدحت !.. لماذا تنظر إلى هكذا من بعد .. اقترب يا أخى وسلم على ..

مدحت : (**خجلا مرتبكا يتقدم**) عفوًا إنى لم أرد إزعاجك .. وخفت أن تكون قد .. نسيتنى ..

طلعت : (**وهو يسلم عليه**) نسيتك ؟.. كيف أنساك ؟!..

مدحت : إنى مسرور جدًا لهذا التحسن ..

طلعت : أى تحسن ؟!..

مدحت : لقد عرفتنا بكل سهولة ..

طلعت : (**يجيل فيهم نظره**) عرفتكم بكل سهوله ؟!.. ما هذا الكلام الذى تقولونه ؟.. كلكم ؟.. أكنتم تتوقعون أن أجهلكم .. لماذا ؟.. أأنا فى غيبوبة ؟..

مدحت : (**مرتبكا**) لا .. ولكن ..

طلعت : ما هذه النظرات ؟.. إنكم لستم فى حالتكم الطبيعية معى ! أقالوا لكم إن مرضى خطير ؟!..

زوجة الباشا : لا .. أبدًا .. بالعكس ...

طلعت : (**باسمًا**) ربما كانت المصحة لها أثر فى حالتكم المعوية !..

زوجة الباشا : كلنا يعلم أن مرضك بسيط ..

طلعت : إذا صدق طبيبى المعالج ، وصدقت الأشعة التى أراها لى .. فإنى لست مريضًا حتى الآن.. أما نفسى بالطبع طبيب وأفهم .. حقًا العمل المرهق كان بدون شك سيضعف رئتى اليمنى .. المتأثرة من التهاب قديم .. ولكن هذه الراحة التامة قد كان لها أكبر الفائدة .. وربما أزالت كل احتمال لمرض فى الرئة .. هذا كل ما فى الأمر ...

زوجة الباشا : (**بدون فهم**) الرئة ؟!..

لطفية : (**هامسة**) نسيت أخبركم .. الطبيب أفهمه أن وجوده هنا ..

زوجة الباشا : (**هامسة ومعها « نبيلة » و « مدحت »**) فهمنا .. فهمنا ..

طلعت : (**ينقل بصره بينهم**) لماذا تتهامسون .. هكذا ؟..

زوجة الباشا : « لطفية » تدخل على قلوبنا الاطمئنان .. الحمد لله .. المسألة بسيطة جدًا يا « طلعت » .. أبسط مما كنا نظن .. وجودك هنا من غير شك من أجل الرئة .. وكل ما يلزمك الراحة التامة وإن شاء الله تخرج فى أتم صحة .. قريبًا .. من هذه المصحة .. ونراك فى القاهرة .. فى بيتك كالعادة .. (**تمد يدها مودعة**) لا ينبغى أن نزعجك أكثر من ذلك .. إلى اللقاء القريب !..

طلعت : إلى اللقاء .. بلغى سلامى واحترامى لدولة الباشا !..

زوجة الباشا : (**فى ذعر مكتوم**) الباشا ؟!.

طلعت : (**باسمًا**) كيف حاله الأن ؟!.. أهو مواظب على صبغ شاربه بالصبغة المضمونة ؟!..

زوجة الباشا :(**هامسة مضطربة**)الباشا !

طلعت : (**محدقا فى وجوه الحاضرين**) ماذا بكم ؟.. ما هذا الوجوم ؟!.. كأنى فى نظركم أهرف بكلام غير معقول !..

الجميع : (**وهم فى وجومهم**) لا .. أبدًا ..

طلعت : ماذا يدهشكم من سؤالى عن الباشا ؟.. أليس هذا طبيعيًا ؟!..

مدحت : (**متكلفًا الهدوء**) بدون شك !..

طلعت : (**ينظر إليه**) تقولها يا « مدحت » وفى نظراتك شك كبير !.. (**ينظر إلى الجميع**) كلكم فى عيونكم هذه النظرات.. نظرات أعرفها من الجمع هنا .. حتى من « لطفية » أحيانا .. نظرات كلها حذر وريبة وخوف .. منى أو علىّ .. لست أدرى بالضبط .. نظرات ترى فى كل ما أفعل وما أقول غرابة أو خروجا على المنطق أو المألوف .. نظرات يصاحبها أحيانا كلام لطيف مرتجف عطوف .. ولكنها هى الأبلغ فى الدلالة على حقيقة ما وراءها .. وهى وحدها التى أصدقها وهى التى تخيفنى من نفسى وعلى نفسى .. وتجعلنى أقول : لقد دخلت هذه المصحة خشية الإصابة فى الرئه ، ولكن هذه النظرات ستخرجنى منها مصابًا فى عقلى !.

لطفية : لا .. لا تفكر هكذا يا « طلعت » .. أرجوك .. إننا ننظر إليك دائما بعيون المحبة والرحمة والمودة !.

طلعت : (**مستمرًا**) لقد عرفت الآن كيف يصاب شخص بالجنون !..

إنها نظرات الناس .

زوجة الباشا : (**برعب**) لا تتكلم فى الجنون يا دكتور « طلعت » !.. ثق أنك هنا فى هذه المصحة للوقاية من مرض الرئة .. ولا شىء غير الرئة !..

طلعت : أعرف هذا .. ولا داعى أن تؤكدى لى ذلك بهذه النظرات ؟!

زوجة الباشا : (**مرتبكة**) هذه النظرات ؟ إلى اللقاء يا « طلعت » !.. إلى اللقاء يا دكتور !.

طلعت : إلى اللقاء .. كنت أحب أن أسألك سؤالا بسيطا .. ولكنى أخشى أن تجدى فيه كالعادة .. ما يثير العجب .. هل تسمحين بالسؤال ؟..

زوجة الباشا : (**بدون إرادة**) تفضل .. تفضل ..

طلعت : صحة الباشا .. أظن من حقى بل من واجبى أن أسأل عن صحة الباشا وانا طبيبه المعالج .. أفى هذا عجب أيضا ؟!.. من الذى يعطيه الآن حقن « الأنجيوكسيل » ؟..

زوجة الباشا : (**هامسة**) إلهى !..

صديق : (**يتقدم بسرعة**) إنه الآن لم يعد فى حاجة إلى هذه الحقن !..

زوجة الباشا : (**كالمخاطبة نفسها فى تنهد**) حقا .. لم يعد فى حاجة إلى حقن الآن !..

طلعت : هذا خبر سار .. تحسنت صحته !.. زال عنه خطر الذبحة الصدرية ؟..

زوجة : (**فى تنهد**) زال عنه كل شىء !..

طلعت : الحمد لله !.. لا تنسى أن تبلغية تحياتى .. وسأزوره بمجرد خروجى من هنا .

زوجة الباشا : (**وهى تتحرك للانصراف**) أسأل الله لك الشفاء العاجل !

طلعت : أشكرك !..

نبيلة : (**تتقدم مودعة**) إلى اللقاء يا « طلعت ».. ..

طلعت : (**باسما**) إلى اللقاء يا « نبيلة » .. فى عرسك إن شاء الله !.. متى تنتهى الخطوبة ويعقد القران ؟!.. من المسئول عن هذا التأخير حتى الآن أهو « مدحت » ؟!..

نبيلة : (**بدون وعى**) بالعكس .. « مدحت » يريد أن يخطفنى خطفا !..

طلعت : يخطفك خطفا !..

لطفية : (**هامسة فى قلق**) لماذا ذكرت كلمة الخطف !..

نبيلة : (**خائفة مرتبكة**) ويلى !.. خرجت من فمى .. لا أقصد شيئا .. أقصد بالخطف .. أنه ..

طلعت : (**ينظر إليهم وهم فى خوف وتهامس**) عدتم إلى هذه الهمسات ؟. وهذه النظرات ؟.

مدحت : نبيلة تقصد بالخطف !..

طلعت : أعرف ما تقصد !..

زوجة الباشا : (**بصوت متهدج**) نعم .. ثق أنها لا تقصد شيئا مخيفًا ...

طلعت : مخيفًا ؟.. ولماذا هو مخيف ؟.. ومن قال إنه يخيف ؟.. ويخيف من ؟.. يخيفنى أنا ؟.. تقصدون ذلك ؟.. تعتقدون أنى أخاف من الخطف ؟ دائمًا يتحنبون هنا هذه الكلمة أمامى ؟.. وإذا لفظها أحد عفوًا أسكتته النظرات .. فى الحال .. ثم أحاطت به الهمسات !.. لا بد أن يكون لهذه الكلمة أصل !.. أليس كذلك يا لطفية ؟!..

لطفية : (**بقوة**) لا .. لا .. مطلقًا ..

طلعت : نبرات صوتك تقول نعم ..

لطفية : صدقنى يا طلعت .. إنه لا علاقة لك بالخطف .. على الإطلاق ..

طلعت : ومن الذى له علاقة بالخطف ...

لطفية : لست أنت على أى حال ..

زوجة الباشا : (**بصوت مهتز**) نعم .. لست أنت لست أنت ..

طلعت : من إذن ؟. هناك إذن شخص قد خطف ؟

لطفية : لا تفكر فى هذا يا طلعت .. أرجوك .. أرجوك .. حالتك كانت قد تحسنت .

نبيلة : (**هامسة نادمة**) إنى آسفة .. آسفة ..

طلعت : (**متصفحا وجوههم الواجمة**) كل شىء فى وجوهكم ينطق بأنكم تخفون عنى أمرًا ..

لطفية : ثق أننا لا نخفى عنك شيئا .

طلعت : هناك شخص قد خطف ..

لطفية : ما من أحد خطف !..

طلعت : كيف دخلت هذه الكلمة إذن حياتى ؟!.. ما الذى أعطاها هذه القوة ؟.. من الذى جعل لها هذه الأهمية ؟!.. كل ذلك لا بد أن يكون له أصل .. إنى خطفت .. أليس كذلك يا « لطفية » .. قولى الحقيقة !

لطفية : خطفت أنت .. آه يا ربى .. إنها النكسة !..

طلعت : نكسة ؟!..

لطفية : (**بقوة**) صدقنى يا طلعت .. إنى أقول الحقيقة .. وأقسم

لك .. ما من أحد يستطيع أن يخطفك ؟!.. لا تخف أبدًا .. لا تخف .. لا تخف !..

طلعت : لست بخائف .. ولكنى أريد أن أعرف .. لأستريح .. ليرتاح رأسى .. ماسر كلمة الخطف ؟.. هل سبق أن خطفت ؟.. ما معنى هذه الكلمة ؟.. لماذا هى محيطة بى ؟. لماذا هى تعيش معى ؟.. لماذا هى تتعقبنى ؟ لماذا أراها فى أعينكم وأسمعها فى همساتكم ؟.. (**يضع رأسه بين كفيه**) سأجن .. سأجن ..

لطفية : (**هامسة لصديق**) ناد الممرضة يا صديق .. لندخله ونستدعى الطبيب .

صديق : (**همسًا**) الحق معه .. نحن الذين سوأنا حالته .. بهذا الجو الخانق من الكذب والتهامس والتغامز والمداراة .. سأمكث معه لحظة على انفراد .. هنا .. بعيدًا عن الممرضة التى أجدها دائما معه !..

لطفية : ماذا ستقول له على انفراد ؟!

صديق : لا شىء ، سوى كلمات لطيفة مهدئة ؟!..

زوجة الباشا : (**همسا**) نستأذن نحن يا « لطفية » .. بدون أن نزعجه .. أو نسترعى التفاته .

لطفية : إنى معكم .. أشيعكم إلى الباب الخارجى !..

(ينصرفون كلهم وهم يلقون على « طلعت » المطرق نظراتهم القلقة .. ولا يبقى سوى « صديق » الذى يجذب مقعدًا ، ليجلس بقرب « طلعت » ..)

صديق : (**يهز ذراع طلعت مناديا**) طلعت !.. طلعت !..

طلعت : (**يرفع رأسه ويلتفت حوله**) أين الجميع ؟..

صديق : انصرفوا ..

طلعت : و « لطفية » ؟.

صديق : تشيعهم .. وستعود بعد قليل .. وفى هذه الفترة أرجو أن تصغى إلى كلامى جيدًا .. إذا أردت أن تخرج من هذا المكان .. وأخرج أنا من هذا الوضع .. قبل كل شيء يجب أن تعلم أنهم يعالجونك هنا علاجا لن يؤدى إلى نتيجة .. هذا الحبس الذى تقيم فيه .. هذا الانفصال عن العالم الخارجى .. لا صحف تعطى لك ولا أخبار يفضى بها إليك .. حتى عملك لا يسمح لك بالتفكير فيه .. عزلة مطلقة بحجة توفير الراحة التامة لك .. أى راحة ؟.. أنت لست فى حاجة إلى الراحة .. ولكنك فى حاجة إلى الذاكرة .. لا ينبغى لك أن تنفصل .. بل أن تتصل بكل حلقة من حلقات حياتك .. لماذا يتركونك تنسى أن « صديق باشا رفقى » قد مات !..

طلعت : مات ؟!..

صديق : إنك تعرف ذلك .. أو كنت تعرفه يوم تناقشنا فى ذلك آخر مرة قبل أن تأتى إلى هنا ؟.. ألا تتذكر ما قلناه يومئذ .. تذكر جيدًا ..

طلعت : ماذا قلنا ؟.

صديق : تحدثنا فيما نشرته الصحف يومئذ من أن « صديق رفقى » قد خطف .

طلعت : خطف ؟!.. خطف ..

صديق : هذا ما نشرته الصحف .. وتكلمنا فيه معا فى بيتك فى

القاهرة .. ألا تذكر ؟!..

طلعت : خطف ؟! أترانى اقتربت من سر الكلمة التى تطن دائما فى رأسى !..

صديق : بالضبط .. ولقد تأثرت أنت أشد التأثر مما قيل فى أمر خطفه .. حتى توهمت أنك ستخطف أنت أيضا ..

طلعت : أخطف أنا أيضا ؟!

صديق : وهم بالطبع .. من أثر وقع الخبر .. خيل إليك أن الإرهابيين الذين زعموا أنهم خطفوا الباشا سيخطفونك أنت أيضا .. وأوجست خيفة من أقرب الناس إليك .. من « لطفية » زوجتك ومنى ..

طلعت : ما هذا الكلام ؟.. كنت أهذى ..

صديق : لا شك أنه نوع من الهذيان الذى يصيب الإنسان عرضا فى أى صدمة أو حمى .. ولا يلبث أن يمر ويمضى ، وقد مر بسلام فيما أرى !.. ولكن حياتك هنا بهذه الطريقة ، لن تعجل بشفائك ؟..

طلعت : من الرئة ؟..

صديق : أى رئة ؟.. الخوف على الرئة هذا ستار يخفون وراءه السبب الحقيقى لوجودك هنا !..

طلعت : السبب الحقيقى لوجودى هنا هو الخوف على .. عقلى ؟.. أليس كذلك ..

صديق : بكل صراحة .. نعم !..

طلعت : آه .. فهمت الآن سر النظرات والهمسات !.. ولماذا لم يقولوا لى ذلك من أول الأمر ؟!..

صديق : يقولون لك ماذا ؟.. إنك !..

طلعت : نعم .. إنى متعب العقل .. هكذا بكل بساطة .. حتى أعاون فى تتبع سير الحالة .. ومراقبة الأعراض .. ومباشرة العلاج !..

صديق : أظن أنه لم تجر العادة بذلك فى مثل هذه الحالة !..

طلعت : جرت العادة أن يحاط المصاب بهذا التمثيل غير المتقن الذى يفسد الأعصاب !..

صديق : ما من عاقل يقول لمجنون أنت مجنون !..

طلعت : ولماذا يقولون للمحموم أنت محموم ، وللمصدور أنت مصدور ؟!..

صديق : لأن الحمى تقاس بميزان الحرارة ، والرئة تكشف بالأشعة .. ولكن المصاب بعقله كيف يمكن أن نريه داءه .. ونقنعه بأنه مجنون ؟!..

طلعت : فى حالة العقل الميزان هو الغير .. والأشعة هم الآخرون .. وما دمت يا « صديق » قد صارحتنى هكذا بحقيقة الأمر .. فإنى أرجوك أن تمضى إلى النهاية فى صراحتك وشجاعتك ، وأن تقول لى بكل إخلاص وصدق : هل أنا حقًّا مجنون ؟..

صديق : الآن .. كما أرى من حديثك ، وألمح من تفكيرك ، أقسم غير حانث أنك عاقل .. وفى أتم قواك العقلية !..

طلعت : وفيم إذن وجودى هنا ؟!..

صديق : هذا ما لم أعد أقره أو أجد له معنى ..

طلعت : و « لطفية » ما رأيها ؟..

صديق : لطفية ليس لها من هدف إلا أن تراك على خير حال .. وليس لها من رأى إلا ما يأمر به الطبيب المباشر من وسائل العلاج !...

طلعت : وكيف نقنع الطبيب المباشر بأنى صحيح العقل ، قدير على الخروج إلى شغلى واستئناف عملى ؟..

صديق : هذه هى المسألة !..

طلعت : حقًا .. ليس هذا بالأمر الهين .. إن إثبات العقـل لمن أشق الأمور .. أعرف ذلك .. كلما أمعنت فى إثبات عقلك ، كلما ابتسم الناس رحمة بجنونك !..

صديق : مهما يكن من أمر ، فلا بد من خروجك حالا من هنـا ، واستئناف أعمالك وأبحاثك !..

طلعت : بمساعدتك أنت يا صديق قد يتم لى ذلك .. أنت المؤمن بصحتى العقلية .. إياك أن تتخلى عنى !..

صديق : أتخلى عنك ؟.. أأنا أستطيع أن أتخلى عنك ؟!.. أنت مفتاح حياتى .. أيوجد لى الآن أمل إلا فيك وفى عودتك إلى عملك وبحثك وحقنتك الملعونة ؟!

طلعت : (**بدهشة**) حقنتى الملعونة ؟!..

صديق : انتظر .. لا تتسرع ولا تفجعنى مرة أخرى فى ذاكـرتك الضائعة .. سر معى خطوة خطوة حتى نصل إلى عتبة الباب .. الباشا مات .. أليس كذلك ؟

طلعت : خطف !..

صديق : نعم .. خطف ثم قتل .. هكذا قالوا فى الصحف ..

طلعت : لم أطلع على الصحف .. كيف قتلوه ؟!..

صديق : لم يقتلوه هو فى الحقيقة .. ولكن الذى قتل .. هو رجل آخر ..

طلعت : رجل آخر ؟!..

صديق : طبعًا .. لأن الباشا لا يمكن أن يكون قد قتل أومات .. لأنه

موجود .. حى .. وأنت تعرف ذلك ؟.. ارجع يا « طلعت » بذاكرتك إلى يوم الحقنة !..

طلعت : حقنة « **الانجيوكسيل** ؟...

صديق : بالضبط .. فى هذا اليوم جئت أنت لتعطيه هذه الحقنة .. ولكنك أعطيته حقنة أخرى .. كنت قد حقنت بها أرانب فأعادتها إلى الشباب وإذا الباشا ..

طلعت : يعود إلى الشباب !..

صديق : بالضبط .. أتذكرت الآن ؟..

طلعت : (**وهو ينظر إلى صديق بريبة خفية**) نعم .. نعم .. نعم ..

صديق : عرفتنى ؟.. تأملنى جيدًا يا « طلعت » .. وانظر إلى صنعك وعملك !..

طلعت : (**وهو ينظر إليه**) صديق !..

صديق : نعم .. صديق .. « صديق رفقى » .. « صديق رفقى باشا » ..

طلعت : (**ينظر إليه فاحصًا**) أنت ؟!..

صديق : (**بفرح**) نعم .. أنا .. تذكرت أخيرا كل شىء يا « طلعت » تذكرت ما جرى كله !. أخيرًا !.. أخيرًا .. وافرحتاه .. (**يقبل عليه فى جد واهتمام**) والآن اسمع يا « طلعت » .. إنى أعيش بأمل واحد الآن .. هو أن يكون عندك لتلك الحقنة الملعونة ترياق .. بالطبع .. إنى أعرف أن لكل تركيب ضدًا .. وما من شك أن فى مقدورك أن تركب حقنة أخرى تزيل أثر الحقنة الأولى وتردنى فى الحال إلى حالتى السابقة من الشيخوخة .. لا تسأل الآن عن الأسباب .. طبعًا سأذكرها

لك بعد قليل .. ولكنى الساعة أريد أن تبادر بإدخال الاطمئنان على قلبى ، قل لى إن هذا فى الإمكان ، وإنك تستطيع أن تقوم به فى أسرع وقت .. أخبرنى يا طلعت .. هل تستطيع ؟..

طلعت : (**وهو ينظر إليه بشك خفى**) نعم .. نعم ..

صديق : (**بلهفة**) متى يمكن ذلك ؟..

طلعت : (**بدون وعى**) غدًا ..

صديق : (**بفرح**) غدًا .. غدًا أعود سيرتى الأولى ؟... غدًا أعود « صديق باشا رفقى » فى نظر أسرتى .. وفى نظر الناس .. وفى نظر المجتمع ؟.. ياللسعادة !.. قلبى يدق .. كمن سيعود إلى بيته بعد طول السفر !.. هذا القلب الذى لم يستطع أن يدق لحب جديد .. ولا لمصير جديد !.. نعم .. تلك هى الحقيقة يا طلعت .. إن الشباب ليس فى الجسم .. ولكنه فى النفس أيضًا .. إنك قد أعطيتنى الجسم الفتى ، و لم تعطنى النفس الفتية الجديدة ، التى تبصر الحياة جديدة .. وترى كل معنى من معانيها كتابا لم يفتح بعد . الحب ، المجد ، الغد .. كل هذه المعانى قد زالت عندى جدتها ، وضاعت فرحتها .. أتستطيع أن تصدق أو تتصور أن الأكلة الدسمة التى كنت أتمناها فى شيخوختى ، قد ذقتها اليوم فلم أجد لها عين الطعم اللذيذ الذى كنت أجده لها فى شبابى الأول .. الحقيقى .. وقل مثل ذلك عن النساء والملاهى والسهر والعبث واللعب والحب والطموح والحرية والمستقبل .. كل هذا لم يعد له عندى نفس المعنى ولا نفس المذاق .. ما قيمة الشباب لى إذن ؟.. إنه بالنسبة إلى نفسى الهرمة دار غربة !.. إنك ألقيت بى فى عالم غريب

يا طلعت » !.. وقد زاده غرابة اضطرارى إلى الكفاح من أجل العيش !.. رئيس وزارة سابق مثلى يعمل صبى كاتب قيودات فى شركة زيوت ؟!.. لم استطع غير ذلك ؟.. أين هى الشهادات التى يمكن أن أتقدم بها الآن إلى وظيفة أرقى ! تصور هذا الدماغ الذى صرف شئون البلاد مدى أعوام .. واعتاد الاشتغال بالأمور الجسام ، يتراجع ويصغر وينكمش ؛ ليشغل بجمع وطرح أتفه الأرقام !.. ستقول لى يا « طلعت » إن تجاربى الخطيرة فى سياسة الدولة لم تزل موجودة .. نعم .. هذا صحيح .. ولم يفتنى ذلك .. خذ وانظر واقرأ .. (**يخرج من جيبه أوراقا**) خذ واقرأ ..

طلعت : (**بدون أن يمد يده**) ما هذا ؟..

صديق : مقالات وبيانات وبحوث فى السياسة والاقتصاد .. وتعليقات على الموقف الداخلى والخارجى .. أرسلتها إلى جميع الصحف .. فردت إلى بالتالى .. دون أن تنشر .. إنها عين الأفكار والمعلومات والخبرة التى كانت الصحف تتهافت على طلبها من « دولة صديق باشا رفقى » !.. لم ينقص منها شىء سوى .. الإمضاء .. بالطبع ليس من الممكن أن أوقع باسمه وهو فى نظر المجتمع قد توفى ودفن .. جعلت الإمضاء : صديق رفقى الصغير ».. فإذ بتلك الأفكار والمعلومات والخبرة ، تصبح شيئا لا يستحق من أحد نظرة !..

طلعت : (**ينظر إليه هازا .. رأسه**) نعم نعم .. نعم ...

صديق : فهمت الآن يا « طلعت » حقيقة ما أنا فيه ؟!.. لو تركتنى أمضى فى حياتى هذه فأى مصير ينتظرنى ؟ لن أصل أبدًا إلى

ما سبق أن وصلت إليه !.. إن الظروف التى قادتنى فيما مضى إلى رياسة الحكومة لن تتكرر !.. قد تكون قمة مجدى الجديد الوصول إلى رياسة قلم فى شركة الزيت !.. وقد لا أبلغ ذلك فإنى .. فقدت كما قلت لك لذة الطموح .. إن كلمة « المستقبل » تضحكنى .. وكلمة « الماضى » تحسرنى !.. إن الأمس هو بيتى .. كما أن الغد هو بيت الشاب الحق .. إنى لست شابا .. لست شابا يا « طلعت » .. أعدنى إلى بيتى .. أعدنى إلى بيتى !..

طلعت : (**وهو ينظر إليه فاحصا**) أعيدك إلى بيتك !..

صديق : نعم .. اتوسل إليك فى .. أسرع وقت .. غدا كما قلت ووعدت .. غدا جهز لى الحقنة المضادة المباركة .. وعلى أنا أن أخرجك من هذا المكان الليلة .. نعم .. سأخرجك من هذه المصحة ، على أن تخرجنى أنت غدا من هذا الشباب !..

(**تظهر « لطفية » و خلفها الممرضة ، وهى تنظر فى ساعة معصمها** ...)

لطفية : حان موعد الدواء يا طلعت .. يجب أن تدخل الآن ..

(**تساعدة على النهوض مع الممرضة**)

صديق : ألم يأت بعد الطبيب المعالج ؟!..

لطفية : سيأتى بين لحظة وأخرى .. ابق أنت يا « صديق » فى مكانك .. ريثما أدخل « طلعت » وأعود .. (**تسير بطلعت مع الممرضة نحو باب المصحة**)

صديق : (**يلتفت نحو « طلعت »**) لا تنس يا طلعت ما قلناه !.. إنى عند وعدى .. فكن أنت عند وعدك !..

(يعتدل « صديق » فى جلسته ويكون ظهره إلى حيث يسير « طلعت » نحو الداخل ... وعندئذ يهمس « طلعت » ويشير للطفية بيده إلى رأسه علامة تدل على ذهاب العقل .. ثم يختفى الجميع من باب المصحة ... ويبقى صديق وحده مطرقا مفكرًا ...)

لطفية : **(لا تلبث أن تخرج بسرعة من المصحة عائدة إلى حيث يجلس « صديق »)** ماذا كان موضوع حديثكما ؟..

صديق : أشياء كثيرة أقنعتنى كل الإقناع أن « طلعت » فى أتم صحة عقلية ونفسيه ومعنوية ..

لطفية : لا داعى إذن إلى بقائه هنا ؟..

صديق : **(بقوة)** على الإطلاق .. إنه رجل عاقل ..

لطفية : فليخرج إذن لتحل أنت حجرته !..

صديق : ماذا تقولين ؟..

لطفية : ما قاله لى بالحرف .. قال لى إنك مجنون !..

صديق : أنا ؟!..

لطفية : أكد لى الآن أنه سمع منك كلاما كثيرا ، لا يصدر إلا عن مجنون .. وأوصانى بعرضك على الطبيب ، وبأن تحجز لك هنا حجرة !..

صديق : **(كالمخاطب نفسه خائب الأمل)** واخسارتاه !.. أنا الذى ظننته يصغى إلى كلامى بفهم وعقل ؟.. وإذا به لم يزل مجنونا !..

لطفية : **(باسمة)** أهكذا نسمى دائما من لا يصغى إلى كلامنا ؟!..

صديق : لا يا «لطفية» لا .. زوجك قطعا لم يزل فاقد الذاكرة فى أشياء كثيرة ..

لطفية : (**باسمة**) ياله من تحول سريع !..

صديق : بل هى غفلة منى .. وتسرع فى الحكم ، وكان يجب أن أحسن امتحانه .. على كل حال .. لقد انهار البناء الذى شيدته على .. عقلة !..

لطفية : أى بناء ؟..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) بناء حياة بأكملها !..

لطفية : حياتى .. نعم يا « صديق ».. لقد كان لك هذا الفضل .. أنت الذى استطعت بتفكيرك الرزين أن تدعم أساس حياتى الزوجية .. لا تنس أن فى حياة كل امرأة شابة لحظة طيش واندفاع .. تنبت من الفراغ والملل .. من حسن الحظ أنك ظهرت فى ذلك الوقت .. فجعلتنى أتئد ، وأصابتنى عدوى طبيعتك المتحفظة ، فصرت أنفر من المغامرة .. وتحولت عاطفتى الثائرة إلى شعور هادئ بالواجب الزوجى .. فإذا بى أشعر بنوع من السعادة اللطيفة فى رعايتى لطلعت ، وسهرى عليه ، وتكريس حياتى له .. إنى أشكرك يا صديق .. تصور ماذا يكون مصيرى لو كان صادفنى فى مثل هذا الظرف شاب .. أقصد لو صادفنى شاب آخر نزق الطبع .. طائش .. ثائر .. مندفع ...

صديق : إنى كنت لك أبا !..

لطفية : لم أرد أن أقولها .. ولكنك بالفعل لم تكن لى شيئا غير هذا !..

صديق : وهل كنت تفضلين لو كنت لك شيئا غير هذا ؟!..

لطفية : لا تسألنى هذا السؤال يا صديق !..

صديق : لن أسألك .. ولكنى أقول لك .. وأنا واثق مما أقول : إنك لى

تندمى أبدًا على ما سلكت اليوم من طريق !..

لطفية : إنى على كل حال أشعر اليوم أن حياتى قد استقرت على أساسها السليم .. وكن واثقًا أن مرض زوجى مهما يطل فلن يؤثر فى هذا الأساس ..

صديق : مرض زوجك لن يطول .. ولا يجب أن يطول .. (**كالمخاطب نفسه**) لأن لقوة الاحتمال حدا ..

لطفية : تأكد أنى الآن قوية الاحتمال ..

صديق : لست أتكلم عنك أنت ..

لطفية : عمن إذن تتكلم ؟..

صديق : عن .. عنه هو .. عن هذا الوضع .. عن وضعه .. يجب أن يعود سيرته الأولى .. يجب أن يرجع إلى عمله ودرسه وبحثه ومعامله وحقنه بأسرع وقت .. بأسرع وقت ..

لطفية : وما السبيل إلى ذلك ؟!..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) لا أدرى .. إن ذاكرته يجب أن تعود إليه كاملة .. كاملة .. مرتبة .. منذ .. ذلك اليوم !..

لطفية : ذلك اليوم ؟.. أى يوم ؟..

صديق : يوم الحقنة .. أقصد اليوم الذى اختفى فيه الباشا ..

لطفية : (**كمن يتذكر**) نعم .. فى ذلك اليوم كنت ذاهبة أنا أيضا إلى بيت الباشا ، لأرى أثواب « نبيلة » التى أحضرتها الخياطة .. ولكن « طلعت » سبقنى ليعطى الحقنة ..

صديق : (**فى لهفة**) أى حقنة ؟..

لطفية : حقنة « الأنجيوكسيل » طبعًا ..

صديق : (**مطرقًا فى خيبة**) آه ..

لطفية : ألا يوجد طريقة لتذكيره بلطف ..

صديق : بلطف أو غير لطف .. لا بد أن يتذكر .. لا بد أن يتذكر كل شيء . من البداية .. منذ ذلك اليوم الملعون .. (**فجأة يصيح**) اسمعى يا « لطفية » !.. عندى فكرة ..

لطفية : أسرع !..

صديق : ما قولك فى أن ننقل « طلعت » بملابسه التى كان يرتديها فى ذلك اليوم ؟ وبحقيبته وحقنته ، إلى بيت الباشا .. فى نفس الساعة ونفس المكان ، ونفس الوضع الذى كان عليه عند إعطاء الحقنة ؟... ألا ترين أن هذا كله قد يرد إليه ذاكرته فجأة ؟!..

لطفية : (**تتأمل الاقتراح ثم تصيح متحمسة**) فكرة مدهشة !

صديق : المهم .. كيف ننفذها ؟!..

لطفية : هذا من أسهل الأمور ..

صديق : حذار أن تخبرى الطبيب المعالج .. فقد يتفلسف ويعقد الموضوع ويفسد الحكاية .. فلنعتمد نحن على أنفسنا .

لطفية : وما دخل الطبيب هنا .. إنى سأخرج بزوجى لمدة ساعة ، تحت مسئوليتى .. وليس لأحد هنا أن يسألنى أين أذهب به ؟.. أليس كذلك ؟..

صديق : بكل تأكيد .. سيكون ذلك غدًا ..

لطفية : فليكن غدًا .. يحسن إذن أن تتصل منذ الآن بتيزة « جليلة هانم » لعمل الترتيب اللازم .. أليس كذلك ؟..

صديق : طبعًا لا بد من استئذان « جليلة هانم » .. صاحبة البيت !..

لطفية : (**تتحرك**) هلم بنا إذن نبدأ من الآن .. نتصل ونرتب ونفذ .. من يدرى ؟.. ربما فتحت لنا هذه الفكرة باب حياتنا !..

صديق : الأولى ..

لطفية : نعم .. الأولى ..

(**ينصرفان معًا مسرعين ..**)

(**ستار**)

الفصل الرابع

(عين منظر الفصل الأول .. حجرة المكتب فى منزل « صديق باشا رفقى » ، ببابها المؤدى إلى حجرة نومه .. وقد جلست « جليله هانم » بثوب الحداد فى مقعد ، وأمامها « صديق » فى ملابس تشابه فى اللون ملابسه فى أول فصل ....)

جليلة : أستخرج به « لطفية » من المصحة إلى هنا مباشرة ؟!..

صديق : سيذهبان قبل ذلك إلى بيتهما ، لإحضار الحقيبة التى اعتاد أن يضع فيها الحقنة !..

جليلة هانم : (**وهى تكفكف بمنديلها دمعة**) نعم .. نعم .. حضر بها حقًا هنا فى آخر يوم ..

صديق : إنى آسف يا .. سيدتى .. لهذا الترتيب كله ، وما فيه من إثارة لشجونك .

جليلة : لا بأس يا .. ابنى .. إن أمر الدكتور طلعت يهمنى .. ومن الواجب أن نجرب كل طريقة يمكن أن تؤدى إلى شفائه .. إنى لا أنسى أن ما أصابه كان من فرط تأثره بما حدث للمرحوم ..

صديق : (**وهو يشير إلى حجرة النوم**) نعم .. فى هذه الحجرة حدث كل شىء !..

جليلة هانم : حدث كل شىء ؟!..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) الحقنة !..

جليلة هانم : نعم .. فى هذه الحجرة كان يعطيه الحقنة !..

صديق : أتسمحين لى أن ألقى نظرة فى هذه الحجرة !؟..

جليلة هانم : افعل .. افعل .. اجعل البيت بيتك !..

صديق : (**كالمخاطب نفسه متحسرًا هامسًا**) بيتى !..

جليلة هانم : (**وهى تمسح دمعة بمنديلها**) من يوم أن ذهب « المرحوم » ، وقدمى لم تطأ عتبة حجرته هذه .. لقد أمرت بأغلاقها على حالها الأول .. ولولا « طلعت » ما فتح بابها اليوم !..

صديق : (**كالمخاطب نفسه وهو متجه إلى باب الحجرة كالمشتاق**) باب حياته الأولى !..

جليلة : نعم .. كان هنا يعيش هادئا معززًا مكرما .. لا تزعجه حركتنا .. ولا تصل إليه ضوضاء الخدم .. يقرأ التقارير والصحف والرسائل والكتب ما شاء أن يقرأ .. ويكتب المذكرات والمقالات ما شاء أن يكتب .. فإذا أراد أن يأنس بنا .. ضغط على زر الجرس ، وطلبنى ليحادثنى وأحادثه ، أو طلب « نبيلة » ليداعبها وتداعبه .. ونحضر إليه الشاىَ الخفيف جدًا .. أو فنجانا واحدًا صغيرًا من القهوة ، فيرشف منه على مهل .. وأنظارنا تحيطه بالعطف والمحبة .. وهو كالطفل المدلل يقول : « تختارون لى أصغر فنجان »!.. هكذا« كستبان » هذا لا يكفينى .. أعدوا لى سرًا فنجانا آخر .. واكتموا الخبر عن « الدكتور طلعت » !.. فنضحك ، ونشفق ، ونحتار : أيهما نصنع ؟. أنعصى أم نطيع ؟.. ولا ينقذنا من هذا الموقف الدقيق ، غير مجىء أصدقائه يحادثونه فى الموقف السياسى !..

صديق : (**وقد وقف يصغى إليها**) نعم !.. نعم !.. جو عائلى ، لا يملؤه بالدفء ، ولا يصبغه بلونه الرمادى ، غير يد الأعوام

الطويلة !..

جليلة هانم : ما كان أجملها من أعوام !..

صديق : جمالها فى طولها كالشعر ، حتى وإن اتخذ لون الفجر !..

جليلة هانم : إنى لا أكاد أشعر لها بطول .. إنها عندى لمحات من العواطف والحوادث والذكريات ، قد تشابكت خيوطها فى نسيج بديع ، لا تشبع أبدًا عينى من تأمله والنظر فيه .

صديق : نسيج كالسجّاد الثمين ، يجمل خيطه لونا كلما ازداد سنًا !..

جليلة هانم : حتى الخيط الأسود فيه لا يشوب بهجته .. لا أنسى أن المرحوم كانت له فى شبابه نزوات .. هناك حادثة بالذات ، حدثت قطعًا قبل أن تولد أنت .. ولعلك سمعت بها .. فهى إلى حد ما معروفة .. كانت له علاقة بامرأة انتحرت بسببه وتحطم بيتها .. كان قد مضى على زواجنا عدة سنوات .. ولم تكن نبيلة قد جاءت بعد .. بالطبع صدمتنى هذه الحادثة .. ولكنى تجلدت ، واكتفيت بتجاهله عامًا بأكمله !..

صديق : (**بدون وعى**) كان عليه من أقسى الأعوام وأمرّها !..

جليلة هانم : كيف عرفت ؟..

صديق : (**يستدرك**) يخيل إلىّ ذلك !..

جليلة هانم : هذا ما كان بالفعل .. لقد كان هذا الصمت والتجاهل أقسى عليه من أى عقاب .. هكذا قال لى . بعد أن جاء وقت الندم .. لقد حاول المستحيل ليحملنى على الإصغاء إليه وإلى دفاعه واعتذاره !..

صديق : ولكنه لم يجد منك غير احتقاره !.

جليلة هانم : تلك كلمته بالضبط .. على أن موقفى لم يكن فى الحقيقة احتقارًا

لشخصه ، بل ترفعًا منى عن صغاره !..

صديق : (**بدون وعى**) لطالما بكى الليالى الطوال أمام بابك الموصد من دونه !..

جليلة هانم : (**فى دهشة**) عجبًا !.. من أخبرك بهذا ؟..

صديق : (**مرتبكـــا يستـــدرك**) أخبرنى .. أخبرنى « الدكتـــور طلعت » !..

جليلة هانم : نعم .. من الجائز أن يكون قد أفضى إليه .. حقا .. لطالما فعل ذلك ، ولطالما كتب إلى الرسائل ، يلقيها فى حجرتى ليلا من تحت بابى ، يذكرنى فيها بحبنا الأول الذى لا يمكن أن ينساه !..

صديق : و لم يتلق منك على رسائله ردا !..

جليلة هانم : أبدا ..

صديق : لو علمت كيف كان وقتئذ يتحرق شوقا إلى كلمة منك !..

جليلة هانم : (**غارقة فى ذكرياتها**) لا أنكر أن رسائله هذه كانت تهز نفسى وقتئذ هزا عنيفا .. كنت أقرؤها فى فراشى مرة ومرة ومـرة فتسرنى وترضينى وتبكينى !.. وكنت أتمنى فى قرارة نفسى أن يستمر فى إرسالها ، وأن يمضى فيها دائما يحدثنى عن حبه لى .. ذلك الحب الأول فى حياته ، وماله فى قلبه من منزلة ، فيوقعنى كلامه فى ذلك الشك المؤلم اللذيذ : أهو صادق ؟.. أهـو كاذب ؟..

صديق : (**بحرارة**) صادق !.. صادق !.. ليس غير الحب الأول .. لا طعم كطعمه أبدا .. ولا يتكرر أبدًا كما كان أول مرة !..

جليلة هانم : نعم كان صادقا فى أعماق قلبى ، لأنى لو لم أومن بذلك ، لما كنت استطعت الحياة حتى الآن .. ثم جاء يوم الصلح ..

صديق : (**بدون وعى**) وياله من يوم !.. لقد شفى فى الحال لمرآك ..

جليلة هانم : كيف عرفت ؟.

صديق : (**يستدرك**) « الدكتور طلعت » !..

جليلة هانم : نعم .. حقًا لم يصالحنا غير المرض .. مرضه .. حسبت لأول وهله أنه تحايل منه ، ولكن عندما تأكد عندى أنه أصيب حقيقة ببرد شديد مصحوب بحمى . لم تطاوعنى نفسى وهرعت إليه أمرضه .

صديق : منذ ذلك اليوم وهو يحفظ فى نفسه لهذا المرض أجمل الذكرى !..

جليلة هانم : (**تمسح بمنديلها دموعها المنهمرة**) كل ذكرياته جميلة .. مرضه وصحته ، خصامه وصلحه،صدقه وكذبه ، ولا شيء منه إلا ويثير فينا الحسرة عليه !..

صديق : هو أيضًا ولا شك ، مهما يكن فى عالمه الآخر متمتعا بالشباب ، فإنه لن يذكر إلا بالحسرة كل تلك الأيام !..

جليلة هانم : (**تلتفت إليه باهتمام**) أتعتقد أنه الآن فى الجنة متمتعا بالشباب ؟!.

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) إنه متمتع بالشباب ، ولكنه ليس فى جنة !..

جليلة هانم : (**فى ارتياع**) ماذا تقول ؟!.. إن ذنوبه طفيفة !..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) أكبر ذنب له أنه ترك عالمه !..

جليلة هانم : (**وهى تتنهد**) وهل كان هذا بيده ؟!..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) بيد الوهم الخداع !..

جليلة هانم : وهم الآثمين الذين خطفوه وقتلوه !..

صديق : (**مجاريا**) نعم ...

حليلة هانم : (**ترفع يديها إلى السماء**) إنه لشهيد !.. اللهم ارحمه رحمة واسعة ..

صديق : آمين !..

(يسمع صوت بوق سيارة فى الخارج ، من النافذة المفتوحة على الحديقة ...)

جليلة هانم : (**تنهض**) « لطفية » و « طلعت » !..

صديق : فى الغالب !..

حليلة هانم : نستقبلهما فى « الصالون » أولا ؟..

صديق : من رأيى أن تستبقى « طلعت » لحظة .. حتى أدبر مع « لطفية » الأمر ..

جليلة هانم : إذن أرسل « لطفية » إليك هنا، بمجرد دخولها !..

صديق : أكون شاكرًا !..

(« جليلة هانم » تخرج مسرعة ، ويبقى « صديق » وحده يقلب النظر فى الحجرة ، ويفحص المكتب وما عليه من أقلام وأدوات وتحف ؛ كمن يستعيد ذكرها .. إلى أن تدخل « لطفية » على عجل ...)

لطفية : إنه هنا .. طلبت أن ترانى على انفراد ؟!..

صديق : نعم .. ماذا صنعت ؟..

لطفية : صنعت ما اتفقنا عليه .. خرجنا من المصحة إلى بيتنا ؛ حيث ألبسته الثياب التى كانت عليه فى ذلك اليوم !..

صديق : (**بدون وعى**) أنا أيضا قد لبست عين الثياب التى كنت أرتديها فى ذلك اليوم !..

لطفية : أنت ؟!..

صديق : (**مستدركا**) نعم .. أنسيت أنى فى ذلك اليوم جئت مع « الدكتور طلعت » لمقابلة « الباشا » !..

لطفية : حقًا .. من أجل الوظيفة !..

صديق : يجب أن يكون كل شىء كما كان بالضبط فى ذلك اليوم !..

لطفية : هذا ما اجتهدت أن يكون !..

صديق : وحقيبة الحقنة ؟..

لطفية : فى يده الآن .. وهو الذى أعدها بنفسه كما كان يفعل من قبل ..

صديق : أهو يعلم لماذا يأتى بها اليوم إلى هنا ؟..

لطفية : ليعطى الباشا طبعًا حقنة « الأنجيوكسيل » كالمعتاد .. وقد قال إنه سعيد أن يبدأ عمله ، بعد راحته الطويلة ، باستئناف العناية بالباشا !

صديق : أنت التى أفهمته ذلك ؟

لطفية : بل هو الذى فهم هذا من تلقاء نفسه .. كل ما قلته له هو كما اتفقنا : أن يحمل حقيبته ، ويذهب معى إلى بيت الباشا .. لماذا ؟.. لم أخبره فلما فهم ما فهم وافقته ..

صديق : لا بأس .. ما دام قد نسى أن الباشا مخطوف أو مقتول ..

لطفية : إنه لم ينس .. ولكنه لم يصدق ؛ فقد قال لى ضاحكا إنه سمع من ذلك الشاب المجنون الذى لا يدرى من أين طلع له ، ويقصدك أنت ، أن الباشا مات وأنه حى ، وأن كل هذا بالطبع خلط مجانين ، وقد وافقته !..

صديق : وافقته ؟!..

لطفية : على أن « الباشا » حى ؛ كى يكون لمجيئه هنا بالحقيبة سبب

مقبول !..

صديق : المهم هو أنه جاء الآن كما كان يجيء ، ليعطى الباشا الحقنة المعتادة .. هذا هو اعتقاده .. أليس كذلك ؟..

لطفية : نعم .. هذا هو اعتقاده ..

صديق : إنه قد أحكم لنا التدبير ، أدق مما كنا نتصور .. الآن وقبل كل شيء لا ينبغى أن يرانى فى هذه الحجرة ..

لطفية : بالطبع لا .. لأنه يعتقد أنك مصاب فى قواك العقلية !..

صديق : أيعرف أين أنا الآن ؟..

لطفية : تركته على وهمه أنك محجوز فى المصحة !..

صديق : حسنًا فعلت .. اسمعى الآن يا « لطفية » ما استقر عليه رأيى .. سأدخل أنا فى حجرة النوم هذه ، وأستلقى على الفراش .. وأحاول تقليد صوت الباشا .. وعليك أنت أن تمضى الآن إلى « جليلة » « جليلة هانم » ، وتخبريها فى أذنها أن تقود إلى هنا « الدكتور طلعت » .. كما فعلت فى ذلك اليوم بالتمام ..

لطفية : وأبقى أنا هناك فى الانتظار ؟..

صديق : (**كالمخاطب نفسه**) نعم .. فى انتظار ما سيحدث .. من يدرى ؟.. ربما حدثت معجزة !..

لطفية : (**وهى تتحرك**) ليس هذا على الله بكثير !..

(**تنصرف مسرعة** .....)

صديق : (**همسا وهو يلتفت إلى باب حجرة النوم**) والآن إلى الحجرة .. إلى .. حجرتى !..

(**يتحرك صديق ببطء ، كأنه منوم تنويمًا مغنطيسيا نحو حجرة النوم .. ويبدأ النور فى الشحوب والزوال تبعًا**

لخطواته . إلى أن يدخل الحجرة ويختفى فيها ، وعندئذ ينطفىء النور ويسود الظلام ، ويبقى الظلام مخيما لحظة ، تسمع فيها عين النغمة الموسيقية الخفية التى سمعت ، عندما كان فى حجرته فى الفصل الأول .. ثم ينحسر الظلام شيئًا فشيئًا ، عن « طلعت » وهو جالس فى نفس مكانه فى أول فصل ، بعد أن أعطى الحقنة للباشا)

طلعت : (وهو يرد حقنته إلى الحقيبة) يا باشا .. تستطيع أن تنهض الآن من فراشك !...

(ما من أحد يجيب ....)

يا باشا !.. يا باشا .. لا تستسلم للنوم بعد الحقنة ..

(لا يجيبه أحد ...)

لقد تركتك تعس لحظة ولكن يحسن الآن أن تستيقظ !..

(لا مجيب .. وعندئذ يكون طلعت قد انتهى من غلق حقيبته ، فينظر فى ساعته)

أزف موعد محاضرتى فى الكلية يا باشا .. إنى مضطر إلى إيقاظك . ليس من عادتك النوم هكذا بعد الحقنة .. يقترب من باب حجرة النوم وينادى بصوت يتدرح فى القوة : يا باشا .. يا باشا .. يا باشا !..

(يسمع من الداخل صوت من يفيق من نوم عميق ...)

الباشا : (من الداخل) من ؟.. من ؟.. من ؟.. ماذا حدث ؟.. من ينادينى ؟..

طلعت : أنا « الدكتور طلعت » .. أوقظك !..

الباشا : (من الداخل فى صوت المذهول) « طلعت » !..

طلعت : (**وهو يعود إلى مكانه قرب المكتب**) نعم .. كفى نوما .. ادخر نومك لليّل .. قم الآن يا باشا واخرج إلى مكتبك ، وأخبرنى عنَ الساعة التى تناسبك للحقنة القادمة !..

الباشا : (**من الداخل**) الحقنة القادمة ؟!.. أكنت نائما ؟!..

طلعت : طبعًا ...

(**يظهر الباشا على عتبة حجرة النوم وهو كالمترنح يفـرك عينيه ، وهو كما كان بالضبط فى مبدأ الفصل الأول ، ويتقدم بخطاه المتثاقله فى المكان** ...)

الباشا : أشعر بخمود فى جسمى ، وثقل فى حركتى ، ماذا فعلت يا « طلعت » ؟.. أهى الحقنة ؟..

طلعت : بالعكس يا باشا !..

الباشا : الترياق .. الترياق ..

طلعت : أى ترياق ؟!..

الباشا : (**وهو يتجه إلى مرآة الحائط**) الحقنة المضادة !..

طلعت : (**بدون فهم**) حقنة مضادة ؟!..

الباشا : (**ناظرًا فى المرآة**) يا للعجب !.. هذا الشعر .. الأبيض ! وهذه التجاعيد !.. كل شيء قـد عـاد إلى أصلـه !.. بهذه السرعة ؟!.. يا « طلعت » ؟.. بهذه السرعة ؟!..

طلعت : (**بغير فهم**) ماذا تقصد يا باشا ؟!.

الباشا : (**يمسك برأسه**) لا شيء .. لا شيء .. ما من ريب أنى كنت أحلم .. كل هذا إذن كان حلمًا !.. لقد استغرقت إذن فى نوم طويل !..

طلعت : (**ينظر فى ساعة معصمه**) أنا أقول لك يا باشا كم من الوقت

نمت ..

الباشا : (**باهتمام**) كم ؟.. كم ؟..

طلعت : (**ناظرًا فى الساعة**) نحو .. أربع دقائق !..

الباشا : (**فى صيحة دهشة**) أربع دقائق ؟.. فقط ؟.. كل هذا الذى رأيت .. كل هذا الذى سمعت : كل هذه الأحداث التى وقعت .. كل هذه الأعاجيب .. كل هذه المشكلات .. كل هذا .. كل هذا جرى فى أربع دقائق ؟!..

طلعت : أربع دقائق لا غير .. نمتها أنت يا باشا منذ أن أعطيتك حقنة « الأنجيوكسيل » إلى أن أيقظتك منذ قليل ..

الباشا : وهل أعطيتنى بالفعل حقنة « الأنجيوكسيل » ؟..

طلعت : طبعًا ..

الباشا : ألم تعطنى حقنة غيرها ؟!..

طلعت : لا .. أبدًا ..

الباشا : الحقنة التى تعيد الشباب !..

طلعت : (**ناظرًا إليه فى دهشة**) ما هذا الكلام يا باشا ؟..

الباشا : ألم تحدثنى منذ أسابيع عن أبحاث تجريها على خلايا الأرانب ، وأنك نجحت فى اكتشاف حقنة تعيدها إلى الشباب ؟..

طلعت : لم أحدثك يا باشا عن هذا منذ أسابيع .. بل منذ خمس دقائق فقط .. وقلت لك فعلا إن أبحاثى تتجه إلى تجديد خلايا الأرانب ، وإن لى أملا فى النجاح !..

الباشا : وقلت إن من الممكن أن تنجح التجربة فى البشر ، وقد طلبت إليك أن تجرى على أنا التجربة ، فقبلت بعد توسل منى وحقنتنى !..

طلعت : (**باسمًا**) بحقنة « الأنجيوكسيل » كالعادة ، لسبب بسيط ، وهو أنى لم أحضر فى حقيبتى غيرها ، وتستطيع يا باشا أن تفتش بنفسك.ها هى الحقيبة !..

الباشا : وكلامك لى عن تجربتك العجيبة ؟..

طلعت : (**باسما**) كنت أمازحك يا « باشا » بدون شك .. وخيالك صنع الباقى .. هل رأيت الآن فى المنام شيئا يتعلق بهذا الموضوع ؟..

الباشا : (**كمن يرى حقيقة أمامه**) رأيت أنك أعدتنى إلى الشباب !..

طلعت : (**باسما**) حلم جميل ..

الباشا : الآن عندما تبين لى أنه حلم ، بدأت أرى أنه جميل .. ولكن عند ما كان حقيقة واقعة جعلت أجاهد للخروج منه !.. ما من أحد أبدًا يرضى عن حالته طويلا !..

طلعت : أجاهدت للخروج منه ..

الباشا : وأى جهاد !.. لا شك أنها كانت غفلة منى .. أو ضعف حيلة ، ولو أنى أعطيت الشباب فى الحقيقة لا فى الحلم لعرفت كيف أحسن التصرف وأنتفع به خير انتفاع !..

طلعت : أوَ لم تنتفع به فى الحلم ؟..

الباشا : ضيعته فى الحنين إلى حياتى هذه .. تصور !..

طلعت : ليس من السهل على أنا أن أتصور ما تشعر به أنت يا باشا لو عاد إليك الشباب !..

الباشا : أنا أقول لك بالضبط ؛ فقد عشت هذا كله .. منذ أن انطلقت من هذا البيت ، هائمًا على وجهى !..

(**تدخل عندئذ « جليلة هانم » فى الثياب التى كانت ترتديها فى**

الفصل الأول وقد سمعت عبارته الأخيرة ...)

حليلة هانم : (**باسمة**) متى كان ذلك ؟..

طلعت : (**باسما**) منذ أربع دقائق !..

الباشا : فليكن .. لا يهمنى الزمن ..إنى أقص أشياء' رأيتها بعينى ..

جليلة هانم : أين رأيتها ؟..

طلعت : فى حلم رآه الباشا ..

جليلة هانم : تتحادثان فى الأحلام ؟..

الباشا : لو عرفت كم كنت لطيفة فى الحلم ورحيمة وكريمة ..

جليلة هانم : وفى اليقظة ؟..

الباشا : أيضا لست أنكر ، ولكن الأشياء تتراءى فى نسب أخرى من عالم آخر ..

حليلة هانم : يسعدنى على كل حال أن أعيش معك أيضا فى حلمك !..

الباشا : إنك لم تعيشى معى فيه .. كان يقوم بيننا باب قد أغلق من دوننا ..

جليلة هانم : وكيف كنا إذن نعيش ؟!..

الباشا : تلك قصة طويلة .. تحتاج إلى فنجان من القهوة ..

طلعت : (**ينظر فى ساعته**) اسمحوا لى .. موعد محاضرتى قد اقترب ..

جليلة هانم : انتظر يا دكتور طلعت .. حتى أحضر لـه فنجـان القهـوة أمامك !..

الباشا : (**متأوها شاكيا**)آه .. عدنا إلى المفاوضة والمناقشة والمخالسة فى حجم فنجان القهوة !

طلعت : (**لجليلة هانم**) ليس أكثر من فنجانه الصغير المعتاد !..

الباشا : آه .. كنت فى راحة منك .. ومن أوامرك ونواهيك ..

طلعت : متى ذلك ؟..

الباشا : عندما كنت شابا !..

طلعت : (**باسما**) فى الحلم ..

الباشا : كنت أشرب ما أريد .. وآكل ما أريد .. وأسهر كما أريد .. وألهو كما أريد .. وأستيقظ كما أريد ..وأنام كما أريد!..

طلعت : ولكنك كرهت هذه الحياة كما تقول .. (**يلتفت إلى « جليلة هانم » موضحًا**) رأى فى الحلم أنه عاد إلى الشباب .. ولكنه ود الهروب منه ..

جليلة هانم : (**فى عجب**) تهرب من الشباب ؟!.. أهناك أحد يود أن يهرب من الشباب ؟.. لماذا ؟..

الباشا : نسيت الأسباب الآن !..

جليلة هانم : ولكننا لا بد نذكر من الأحلام أثرها فى نفوسنا على وجه العموم .. إن كان هو الفرح والبشر أو الضيق والانقباض ؟!..

الباشا : كدت أطير بشرًا وفرحًا فى أول الأمر .. ثم انقلب كل شىء إلى يأس وضيق ..

طلعت : (**باسمًا**) هل تقلبت فى فراشك من جنب إلى جنب ؟!..

الباشا : لم أتقلب .. ولكن المصائب هى التى تقلبت علىّ ..لقد مت ودفنت .. وأنت جننت .. ولم أعش لعمل ولا لأمل .. وبدت الحياة طويلة .. طويلة .. لا ظل فيها لأفق .. ولا شبح للموت .. فضاء ليس له حدود .. لأول مرة أشعر بملل الخلود !..

طلعت : (**باسما**) كل هذا داخل أربع دقائق !..

الباشا : إذا عاش الإنسان دقيقة واحدة بلا أمل ولا هدف فإنه يراها

خلودًا !..

جليلة هانم : وما هدفك .. الآن فى اليقظة ؟..

طلعت : طبعا .. تقلد الوزارة !..

الباشا : بل .. انتظار الموت !.. ذلك الحديد الوحيد علىّ !.. الصفحة الأخيرة التى لم تقرأ !..

جليلة هانم : (**مرتاعة**) لا تقل ذلك يا باشا .. لا تقل ذلك يا صديق .. لا تفجعنى عليك !..

الباشا : آه يا عزيزتى !.. أعلم حقًا أنك ستفجعين على .. ولقد شاهدت فجيعتك بنفسى !. وكانت هى كل ما هزنى !..

جليلة هانم : أتريد الآن أن تحزننى !.. أنا التى جئت أكلمك فيما يفرح ..

الباشا : تكلمى .. ما هو المفرح ؟..

جليلة هانم : نبيلة مع الخياطة ، تقيس الأثواب الجديدة .. وهى كما تعلم لا تثق إلا بذوقك .. وقد جئت أرى هل فرغت من حقنتك .. ولكنك تتكلم كلامًا مقبضًا للقلب !.. أهذا يجوز يا دكتور طلعت ؟!..

طلعت : لا يجوز مطلقًا .. كل هذا من النوم فى غير وقته .. غير مزاجه قليلا .. وجعله ينهض بهذا الإحساس المكتئب وهذه النظرة القاتمة ..

جليلة هانم : قل له أن يبتسم .. حتى أنادى نبيلة ..

الباشا : نبيلة .. ابنتى .. ناديها !..

جليلة هانم : ابتسم أولا ..

الباشا : (**يبتسم**) ابتسمت ..

جليلة هانم : أتعدنى بأنك ستتكلم كلامًا مفرحا ..

الباشا : أعدك .. نادى « نبيلة » !..

جليلة هانم : (**تتجه إلى الباب وتنادى**) نبيلة .. نبيلة !..

نبيلة : (**من الخارج**) نعم يا « ماما » !..

جليلة هانم : أبوك يريد أن يرى ثوبك الجديد !..

نبيلة : (**من الخارج**) حالا يا ماما !..

حليلة هانم : (**تعود وتقول لطلعت**) لا تنظر فى ساعتك يا دكتور طلعت .. انتظر حتى تأتى لطفية .. لقد أخبرتنا أنها ستأتى لترى الخياطة ..

طلعت : أمامى أيضًا نحو عشر دقائق ، أشاهد فيها أنا الآخر ثوب الآنسة نبيلة ، وأقول لها « مبروك » !..

(**تظهر « نبيلة » مرتدية ثيابًا أنيقة جديدة**)

نبيلة : (**مزهوة بثوبها**) ما رأيكم ؟.. دام فضلكم !..

طلعت : إنى لست من أصحاب الاختصاص .. ورأيى قد لا يعتد به .. ولكن الإبداع لا يخفى عن أى عين .. هذا فى الحق بديع .. مبروك عليك يا آنسة نبيلة !..

نبيلة : أشكرك يا دكتور طلعت ..

جليلة هانم : انتظرى الآن الحكم العسير من أبيك .. ألا ترين كيف يطيل فيه النظر ؟!..

الباشا : (**وهو يفحص بنظره**) أتدرين يا نبيلة ما الذى ينقص ليكون فى غاية الأناقة ؟!..

نبيلة : ماذا يا بابا ؟..

الباشا : حزام من « الشاموا » بلونه !..

نبيلة : (**وهى تتأمل الثوب**) ما رأيك يا ماما ؟!..

جليلة هانم : ما رأيك أنت فيما قاله أبوك ؟!..

نبيلة : حزام من الشامـوا ؟!.. بـدون شك هـذا يجعلـه فى منتهى الأناقة !.. شكرًا يا بابا !..

الباشا : خذى أيضًا رأى مدحت !.. .

نبيلة : مدحت ؟!.. مدحت آخر من يفهم فى الأذواق ؟..

الباشا : كيف تحكمين عليه هذا الحكم ؟..

نبيلة : هذا رأيى فيه .. إنه لا يهتم بغير عمله .. إنه جامد الشعور ..

الباشا : هل تعرفينة تمام المعرفة ؟!..

نبيلة : أظن أنى أعرفه ..

الباشا : لا .. إنك يا بنتى لم تعرفيه بعد .. رأيك فيه رأى سطحى .. عندما تتأكد بينكما الصلة .. وتطلعين على حقيقة عواطفه .. ستكتشفين تحت مظهره الجامد رقة بالغة فى الشعور ..

نبيلة : من أين جاءك علم هذا يا بابا ؟!..

الباشا : لا شأن لك بمصدر علمى . ولكنك ستقولين غدًا إنى كنت على حق ..

نبيلة : أرجو ذلك ..

جليلة هانم : (**لنبيلة**) ألم يقل لك إنه سيأتى الآن ؟..

نبيلة : إنك تعرفين يا « ماما » أنه يحلو له أن يجعلنى أنتظر قليلا ..

الباشا : ربما كنت أنت المتعجلة قليلا !..

نبيلة : أنا يا بابا المتعجلة ؟!.. إنك تعرف أنى لست متحمسة له كل التحمس ..

الباشا : عندما تغيرين رأيك فيه ، أرجو أن تتذكرى هده اللحظة !..

نبيلة : لا يهمنى فى هذه اللحظة غير رأيك فى ثوبى هذا .. (**تتأمل**

ثوبها)

الباشا : (**كالمخاطب نفسه**) فقط ؟.. حقًا إنها لمرية !.. هذه العيون التى لا تتفتح إلا على اللحظة التى هى فيها ..

جليلة هانم : وما مزية ذلك يا باشا ؟!..

الباشا : وما مزية تلك العيون التى ترى ما كان وما سيكون ؟!.. إنها حبيسة التجاريب ، سجينة التنبؤات !.. الحاضر هو الحرية .. وهو الذى يطلق فيه هؤلاء .. (**يشير إلى نبيلة وإلى طلعت** ..)

طلعت : إنى لم أعد شابا !.. إنى فى الخامسة والثلاثين !..

نبيلة : وأنا قد جاوزت الرابعة والعشرين .. نعم .. لقد شخنا !..

جليلة هانم : (**مازحة**) أرى حقًا يا نبيلة أنك شخت وأن أسنانك قد تخلعت ... وشعرك قد وخطه الشيب !..

نبيلة : لا تسحرى يا ماما .. إنى على كل حال لم أعد صغيرة !..

طلعت : وماذا أقول أنا إذن ؟.. وقد لمحت هذا الصباح شعرة بيضاء ها هنا ، (**يشير إلى رأسه فى أعلى الأذن اليسرى**)

الباشا : (**باسمًا**) أين ؟..

طلعت : (**مشيرا إلى رأسه**) هنا يا باشا .. انظر ..

الباشا : أرنى !.. انتظر .. حتى أضع منظارى !.. (**يخرج من جيبه منظاره ويضعه على أنفه وينظر**) أين هى ؟!..

طلعت : هنا فوق الأذن مباشرة .. ألا تراها ؟!..

الباشا : (**وهو يدنو منه ويمعن النظر فى رأسه**) لا .. لا أرى شيئًا .. سوى شعر حالك السواد .. كالليل قبيل انتصافه !..

طلعت : عجيبة !.. أين ذهبت ؟.. لقد شاهدتها بعينى هذا الصباح فى

مرآة الحمام وأنا أحلق !.. انتظر يا باشا لحظة .. (**يتجه إلى مرآة الحائط**)

الباشا : (**باسما**) نعم .. ابحث عنها جيدًا وأخبرنى بالنتيجة !..

جليلة هانم : (**تلتفت إلى الباشا باسمة**) أتمنى أن لا يجدها !..

طلعت : (**صائحا صيحة الظفر**) وجدتها !.. وجدتها !..

الباشا : اقبض عليها بيدك قبل أن تختفى !..

طلعت : ها هى يا باشا !... (**يدنو من الباشا وهو ممسك بشعرة صغيرة**)

الباشا : (**يسدد إليها النظر من خلال منظاره**) حقًا .. حقًا .. ولكنها .. دقيقة جدًا .. هذه لا ترى بالعين المجردة .. ولا بالمنظار العادى إنها تحتاج إلى « تلسكوب » !.

نبيلة : (**ضاحكة**) « تلسكوب » !

الباشا : نعم .. يكتشف وجودها السحيق .. فى هذه السماء الحالكة !.

طلعت : إنها على كل حال قد وجدت .. وهى تؤذن بظهور غيرها فى القريب !

جليلة هانم : نرجو أن لا يكون ذلك فى القريب يا « طلعت » !..

طلعت : ولم لا يا تيزة ؟!..

جليلة هانم : ولم تريد أن تكبر بسرعة ؟!.

طلعت : لأنى يجب أن أكبر !..

نبيلة : عجبًا يا ماما !.. أتريدين منه أن يبقى صغير السن دائمًا ؟!.. أهذا معقول ؟!..

طلعت : معقول إذا أردنا من الشجرة أن لا تنمو .. ومن الثمرة ألا

تنضج .

جليلة هانم : (**متنهدة**) ولكن الكبر .. لا يسر !..

الباشا : لن تقنعيهم بذلك يا عزيزتى .. لا بد من أن يروا بأنفسهم هذا العالم المجهول لهم !..

جليلة هانم : هذا صحيح .. إنى أذكر وأنا فى الثامنة عشرة أنى كنت أتمنى لو أستيقظ فى الصباح فأجد نفسى فى العشرين .. كنت أعد الشهور عدًا .. وأريد أن أقفز الأيام قفزًا .. (**تتنهد**) عهد مضى !.. نعم عهد مضى !..

الباشا : سوف ينكر طلعت يوما فرحته هذه بأول شعرة بيضاء !..

طلعت : إنى فى الحق أود لو أقفز هاربًا من شبابى .. كما قلت يا باشا الآن إنك هربت منه !..

الباشا : (**كالمخاطب نفسه**) إن الذى هربت منه لم يكن هو الشباب !.. لم يكن الشباب الحقيقى .. إن الشباب الحقيقى لا يعود أبدًا ..

(**يسمع صوت مدحت من الخارج مناديا**)

مدحت : (**من الخارج**) نبيلة !.. نبيلة !..

نبيلة : مدحت حضر !.. (**تتجه إلى الباب**) تعال يا مدحت .. نحن هنا كلنا !..

مدحت : (**يدخل مسلما على الجميع**) عمى الباشا !.. تيزة .. الدكتور !..

نبيلة : ما هذا التأخير يا مدحت ؟..

مدحت : (**يريها الساعة فى معصمه**) فى ميعادى .. بالدقيقة !..

الباشا : ألم أقل لك يا نبيلة إنك تتوهمين أنه أبطأ !..

مدحت : هذا التوهم دليل على معنى يسرنى ..

نبيلة : (**فى تهكم خفى**) معنى التلهف على رؤيتك !.. أظن !!..

مدحت : ليس هذا بالضبط ما قصدت ..

نبيلة : دعنا من قصدك .. وقل لى رأيك فى ثوبى هذا ..

مدحت : بصفتى مهندسًا ، أقول !..

نبيلة : (**مقاطعة**) وما دخل الهندسة فى ذوق الثوب ؟..

الباشا : دعيه يا « نبيلة » يتكلم ..

مدحت : أردت أن أقول إن الهيكل البديع هو المهم وإن كل زخرفة خارجية توضع عليه ، مهما يكن ذوقها وقيمتها ، فهى تستمد جمالها من جمال البناء !..

الباشا : رأى لطيف !..

نبيلة : ولكن الثوب وطريقة تفصيله وما ينقصه ..

جليلة هانم : يكفى يا بنتى ما قاله مدحت من حلو الكلام !..

نبيلة : حلو الكلام هذا لا يصلح للاعتماد عليه فى انتقاء الملابس .. إنى لن أدعك يا مدحت تختار لى معطف الشتاء من إنجلترا ..

الباشا : من إنجلترا ؟!..

نبيلة : طبعًا .. سنكون هناك فى الشتاء القادم .. أليس كذلك يا مدحت ؟..

مدحت : ربما فى الخريف .. نستطيع أن نسافر بعد عقد القران مباشرة .. سأستعلم بالضبط عن موعد سفر بعثتى من وزارة الأشغال ..

الباشا : بعثتك ؟.. أستسافر فى البعثة ؟!..

مدحت : طبعًا يا عمى .. لقد قبلت أخيرًا كما تعلم ..

الباشا : ألم تعدل عن السفر فى هذه البعثة ؟!..

مدحت : لا .. أبدًا .. لم أعدل !..

الباشا : ومشرعاتك ؟..

مدحت : أى مشروعات ؟..

الباشا : أليس لديك أى فكرة الآن عن مشروعات معينة ؟..

مدحت : لا ...

الباشا : (**كالمخاطب نفسه**) حقًا .. لم تثبت بعد .. لن تثبت فكرتها إلا عن نواة حياتى المدفونة !..

جليلة هانم : (**فى قلق**) ماذا تقول يا باشا ؟!..

الباشا : (**مستأنفا**) يجب أن تخرج الثمرة الجديدة من بذرة الثمرة القديمة .. أشد ماتكون جدة .. وطرافة فى النوع ، وقوة الحيوية ، هذا هو الخلود المنتج ..

نبيلة : أكانت هناك فكرة يا بابا ، فى أن يعدل مدحت عن هذه البعثة ؟!..

الباشا : إذا أراد يوما أن يعدل عنها .. فلا ينبغى لأحد أن يقف فى سبيله !..

مدحت : ولماذا يا عمى أعدل عنها ؟!..

الباشا : إنك لا تعلم ما يأتى به الغد !..

مدحت : لست أرى سببا يدعونى إلى تغيير برنامج حياتى !..

الباشا : بالطبع لست تراه الآن .. لكن من يدرى .. من يدرى ..

جليلة هانم : (**فى ضيق**) ما هذا الكلام الغريب الذى تقوله يا باشا ؟!..

الباشا : أهو غريب هذا الكلام ؟.. أغريب أن أقول إن حياة إنسان قد تتغير بتغير حياة إنسان آخر ؟!.. سلى الدكتور « طلعت » ماذا يحدث لو وقفت حياة طائفة من الناس فى مكانها لا تتحرك ..

طلعت : كيف تقف الحياة فى مكانها لا تتحرك !؟..

الباشا : هب أن علمك الحديث قد توصل إلى تلك الحقنة التى تعيد الشباب .. وحقن بها كل من فى حدود الستين والسبعين ممن يحتلون المراكز الكبرى فى الدولة والمجتمع فأرحعهم إلى حدود العشرين والثلاثين ! ماذا يفعل عندئذ الشبان الذين ينتظرون خلو المناصب ، أو فراغ المسالك المؤدية إلى حقهم فى الحياة وحظهم من التقديم !؟.. قل مثل ذلك فى كل عمل وكل هيئة وكل حرفة وكل أسرة وكل إرث .. لقد سمرت الأعمال والأموال فى أيد واحدة لا تتغير .. فسمرت بذلك الفلك الدائر .. ومحوت من فوق الأرض الشباب الحقيقى من أجل الشباب الصناعى !.. أى كارثة عندئذ تحيق بالمجتمع ؟!.. كلمة فى أذنك يا طلعت .. أتسمح ؟..

طلعت : (**وهو يدنو من الباشا**) تفضل يا باشا !..

الباشا : (**هامسًا فى أذنه**) أبحاثك فى تجديد الخلايا .. حاذر يا طلعت !.. حاذر أن تمضى فيها إلى أبعد من إعادة الشباب إلى الأرانب !..

طلعت : اطمئن يا باشا !..

جليلة هانم : أهو سر خطير ؟!..

طلعت : لا يا تيزة مطلقا .. كنا نتحدث عن الأرانب ..

(**تدخل عندئذ لطفية فى حركة سريعة**)

جليلة هانم : وما مناسبة الحديث الآن فى الأرانب ..

لطفية : أهو يتكلم هنا أيضا عن الأرانب .. (**تقول ذلك وهى تسلم على الجميع بادئة بالباشا ...**)

الباشا : (**باهتمام**) كيف حالك يالطفية .. هانم ؟!..

لطفية : بخير يا باشا .. طلعت بشنف أسماعكم بحديثه الذى لا يتغير !..

الباشا : حديثه دائمًا ممتع !..

طلعت : متشكر يا باشا !..

لطفية : ممتع للعلماء ، ربما .. لا للنساء !..

الباشا : وللنساء أيضًا .. لا سيما الظريفة الكريمة مثلك إذا أحسنت إليه الاستماع ..

لطفية : إذا وجدته يوما إلى جانبى ..

الباشا : وأين يوجد إذن ؟..

لطفية : إلى جانب حضرات الأرانب !..

طلعت : ليس طول الوقت يالطفية ..

لطفية : طول الوقت ..

طلعت : لا تبالغى !..

لطفية : أقسم أن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن أسترعى بها اهتمامك ، وأظفر لها ببعض وقتك هى أن أنقلب أرنبة !..

(**الجميع يضحكون** ...)

طلعت : أيضايقك إلى هذا الحد أن يشغلنى عملى ؟..

لطفية : أنت يشغلك عملك .. وأنا ما الذى يشغلنى هذه الأيام الطويلة من الملل والضجر والفراغ ؟.. من يشغلها لى ؟! إنك لا ترى ما أنا فيه الآن من .. من ..

الباشا : (**هامسًا**) من خطر !..

طلعت : ابحثى عن شىء يلهيك يا « لطفية » !..

لطفية : أبحث ؟!.. وإذا لم يصادفنى ما يلهينى ؟!..

الباشا : (**كالمخاطب نفسه**) أسأل الله أن لا يصادفك .. ما كل مرة

تسلم الجرة !..

لطفية : ماذا تقول يا باشا ؟..

الباشا : أقول يا « لطفية » .. هانم إن حالك تستوجب الالتفات .. إنى أرى الظروف التى ستمر بك ، ولا أستطيع الآن أن أكون هاديًا ولا مرشدًا .. لأن هذا لم يعد لى فيه حيلة.. كل ما أرجوه هو أن تتذرعى بالصبر ، وتتوسلى بالعقل .. وأن تتخذى من زوجك نفسه ومن عمله ما يشغلك ، وما يسد فراغ وقتك ..

لطفية : أتخذ من زوجى وعمله ما يشغلنى ويسد فراغ وقتى .. أهذا ممكن ؟!..

الباشا : ممكن .. وقد حدث لك فعلا .. أقصد قد يحدث لك فعلا .. هذا الانغماس فى الواجب الزوجى ، والشعور بالسعادة اللطيفة فى رعاية زوجك وسهرك عليه وتكريس حياتك له .. أرجو أن يحدث ذلك .. (**همسًا**) مرة أخرى .. مرة أخرى ..

(**يدق جرس « التليفون على المكتب .. فتهرع إليه « نبيلة » ثم « جليلة هانم »...**)

نبيلة : (**ممسكة بالسماعة**) ألو .. ألو .. من يا فندم ؟. كلوب محمد على ؟ لحظة واحدة !.. (**تضع كفها على البوق وتلتفت إلى الباشا**) بابا ..

جليلة هانم : (**هامسة كالمخاطبة نفسها**) خيرًا !..

الباشا : (**ينهض إلى السماعة**) ألو .. من ؟ أنا صديق رفقى .. الأزمة الوزارية .. مفهوم .. لا مانع .. مسافة الطريق .. إلى اللقاء .. (**يضع السماعة ..**)

جليلة هانم : ستخرج الآن يا باشا ؟!..

الباشا : إلى الكلوب .. حالا .. أين معطفى ؟..

جليلة هانم : خيرًا يا باشا ؟..

الباشا : ربما رشحت لرياسة قلم فى شركة الزيت .. (**يتدارك فى الحال ممسكا رأسه بيده**) لرياسة الوزارة فى التعديل الجديد ..

نبيلة : وستقبل طبعًا يا بابا !.

الباشا : ليس هذا مما يفرحنى الآن كثيرًا يا نبيلة .. إنها ليست أول مرة !.. ولكنى مع ذلك لا أستطيع أن أرفض ..

الجميع : (**فى فرح**) مبروك يا باشا !.. مبروك !..

الباشا : أشكركم .. المعطف !..

جليلة هانم : (**صائحة**) المعطف لأبيك يا « نبيلة » ...

نبيلة : (**وهى تسرع بإحضاره من حجرة النوم صائحة بفرح**) معطف رئيس الوزراء !..

جليلة هانم : (**بفرح**) ياله من يوم سعيد !..

الباشا : (**يخرج ساعته القديمة وينظر فيها**) يخيل إلى أنها وقفت .. (**يضعها على أذنه ....**)

نبيلة : (**تأتى بالمعطف مسرعة**) دعنى ألبسك يا بابا ..

جليلة هانم : هذا واجبى أنا التى ألبسه معطفه !..

(**تهم بأن تلبسه المعطف .. ولكنه يتخاذل بين ذراعيها ...**)

الباشا : (**فى شبه حشرجة**) افتحوا النافذة !..

جليلة هانم : (**مرتاعة**) النافذة مفتوحة .. يا دكتور .. يا دكتور ..

طلعت : (**مسرعا نحو الباشا يجلسه على مقعد بمساعدة الجميع ويشق قميصه من العنق ويصيح فى الحاضرين :**

حقنة الكافور .. حقنة الكافور !..

(يحدث هرج ومرج.. ويسرعون إلى «طلعت» بحقيبته.. ويعد الدكتور على عجل الحقنة.. بينما يستولى على الجميع الذهول.)

لطفية : **(تنتبه هامسة)** ذبحة صدرية!..

طلعت : **(منتهرًا)** صه!..

(يحقن الباشا.. فيفيق قليلا)

الباشا : **(كالهامس)** لا فائدة يا طلعت!.. إنها الصفحة الأخيرة!..

طلعت : لا تقل ذلك يا باشا.. إنها أزمة بسيطة، ستمر بسلام..

الباشا : **(فى صوت ضعيف بطىء)** أنى أعرف.. أكثر من طبك !.. وقفت حياتى.. فى الوقت المناسب.. نعم.. هذا خير ما نفعله وما نتركه.. **(ناظرًا إلى مدحت ونبيلة)** لكم.. **(ينظر إلى جليلة هانم)** تلبدت الغيوم فى عينيك منذ الأن!.. لا يا جليلة..لا تسرفى.. أعرف ما سوف تصنعين.. تأملى نسيج الذكريات.. ولكن فى غير أسى!.. لا تسحطى كثيرًا على نذالات الناس.. ابتسمى لها كما أبتسم الآن. ليس فى الإمكان منع حفلات التأبين. دعى للمتكلمين فرصتهم فى إظهار حسن الإلقاء. لا بد لهم من أموات، يعلقون على أجداثهم القصائد والخطب!.. لا تغضبى للنسيان السريع.. ليس يهمنى غير ذاكرتك أنت وحدها!.. هى التى سأعيش فيها معززًا مكرمًا.. بخيوطى البيضاء والسوداء!.. **(يلتفت إلى لطفية)** أوصيك بزوجك طلعت!.. **(ملتفتًا إلى طلعت)** أظن من تحت نوافذ عيادتك تمر الجنازة!.. هذه المرة لن أمشى فى جنازتى..

(تميل رأسه على ذراع زوجته ..)

(ستار)

من وحى العادات الريفية

أغنية الموت

قصة تمثيلية فى فصل واحد

(دار من دور الفلاحين فى الصعيد.. امرأتان جالستان فى ثياب سوادء قرب المدخل .. هما « عساكر » .. و« مبروكـة » وعلى مدى خطوة منهما عجل .. وجدى يأكلان الحشائش والدريس الجاف .. والمرأتان فى إطراق وصمت .. وعندئذ يسمع صوت صفير القطار ...)

مبروكة : (**ترفع رأسها**) هذا هو القطار ...

عساكر : (**بلا حراك**) أتظنين أنه سيأتى فيه ..

مبروكة : ألم يقل ذلك فى خطابه .. الذى قرأه علينا البارحة « الشيخ محمد الإسناوى » عريف الكتاب ؟..

عساكر : إياك يا مبروكة أن تكونى قلت لأحد إنه ابنى !..

مبروكة : أأنا مجنونة ؟!.. ابنك علوان مات وهو طفل ابن عامين .. مات غريقا فى بئر الساقية .. البلدة كلها تعرف ذلك ..

عساكر : ولكنهم هم ما عاد يدخل عقولهم هذا الكلام !..

مبروكة : من هم ؟.. الطحاوية ؟!..

عساكر : ألم يقل لك ابنك « صميدة » ما سمع ذلك النهار فى السوق ؟!..

مبروكة : ماذا سمع ؟..

عساكر : سمع أحدهم يقول فى حلقة من الناس : إما أن « العزايزة » لم يبق فيهم غير نساء ، وإما أنهم يخبئون رجلا للأخذ بالثأر .. رجلا أقرب إلى القتيل من « صميدة » ابن أخيه . ومن يكون أقرب من ابن الأخ غير الإبن ؟!..

مبروكة : نعم .. قال لى ذلك ابنى « صميدة » .. ولولا هذه الإشاعة لما استطاع يمشى فى البلد مرفوع الرأس !..

عساكر : فليعلموا اليوم أن ابن القتيل لم يزل حيا .. لم يبق هناك خوف عليه وقد بلغ مبلغ الرجال .. لست أنا الآن التى أخاف .. بل

هم الذين يؤرق أجفانهم الخوف !.. أسرع به أيها القطار .. أسرع .. لقد انتظرت طويلا !.. سبع عشرة سنة !.. أعدها ساعة ساعة .. سبع عشرة سنة !.. أحلبها من ضرع الدهر قطرة قطرة كما يحلب اللبن من ضرع البقرة العجوز ..

مبروكة : (**تصغى إلى صوت**) ها هو القطار قد دخل المحطة .. سيجد ابنى « صميدة » فى انتظاره !..

عساكر : (**كالمخاطبة نفسها**) نعم !..

مبروكة : (**تلتفت إليها**) مالك يا « عساكر » .. ترتعدين !..

عساكر : (**كالمخاطبة لنفسها**) أغنية « صميدة » .. ستدلنى ..

مبروكة : تدلك ؟..

عساكر : على حضوره ..

مبروكة : قلت لا بنى أن يغنى علامة على وصول « علوان » ؟!..

عساكر : نعم إذا اقتربا معًا من داير الناحية ..

مبروكة : تجلدى يا « عساكر » .. تجلدى .. مضى الكثير .. ولم يبق غير القليل ..

عساكر : ليس الذى بى الساعة خوف ولا ضعف ..

مبروكة : أيام الخوف ذهبت إلى غير رجعة .. لن أنسى ذلك اليوم الذى أخفيت فيه ابنك « علوان » وهو ابن عامين فى « قفة » الطحين ، وحملته ليلا ، خارجة به من البلدة إلى القاهرة ؛ لتستودعيه قريبك الدقاق ، فى دكان العطارة بحى « سيدنا الحسين » !..

عساكر : قلت له أنشئه جزارا .. ليحسن استخدام السكين ..

مبروكة : لم ينفذ رغبتك ..

عساكر : بل نفذها وألحقه عندما بلغ السابعة بدكان جزار .. ولكنه هرب بعد ذلك من دكان الجزارة ..

مبروكة : ليلتحق بالأزهر الشريف ..

عساكر : نعم .. وعندما ذهبت إليه فى العام الماضى ، رأيته فى عمامته وجبته ،تكسوه المهابة .. فقلت له : آه لو كان رآك أبوك على هذه الحال ، لقرت عينه بك !.. ولكنهم لم يتركوه ليرى ابنه يكبر ويفرح به هذه الفرحة !..

مبروكة : أما كان من الخير أن يبقى فى دكان الجزارة ؟..

عساكر : لماذا تقولين هذا يا « مبروكة » ؟!..

مبروكة : لا أدرى .. هو خاطر مر بى ..

عساكر : أنا أعرف هذا الخاطر ..

مبروكة : ما هو يا « عساكر » ؟..

عساكر : يسوءك أن يلبس ابنى العمامة والجبة .. بينما يبقى ابنك بالدفية والزعبوط !..

مبروكة : أحلف لك بروح المرحوم أن هذا شىء لم يمر بخاطرى ..

عساكر : ولماذا إذن تكرهين لعلوان أن يكون فى الأزهر الشريف ؟!..

مبروكة : ما كرهت والله ذلك .. ولكنى فقط أخشى ..

عساكر : تخشين ماذا ؟..

مبروكة : أن .. أن لا يحسن استخدام السكين ..

عساكر : اطمئنى .. اطمئنى يا مبروكة .. عندما ترين « علوان » الآن وقد شب رجلا ، ستجدين عنده قوة الساعد التى تعرفينها فى « العزايزة » ...

مبروكة : (**تصغى إلى الصفير**) القطار يخرج من المحطة ..

عساكر : فليخرج إلى حيث شاء .. على أن يكون قد أحضر لنا « علوان » ، يخرج روح القاتل ، ويتركه لكلاب العزب جيفة وأشلاء !..

مبروكة : وإذا لم يحضر ؟!..

عساكر : لماذا تقولين هذا يا « مبروكة » ؟!..

مبروكة : لا أدرى .. هذا تخمين ...

عساكر : وما الذى يمنعه من الحضور ؟..

مبروكة : وما الذى يدفع إلى ترك القاهرة والبندر والأزهر ؛ ليحضر إلى هنا ..

عساكر : هنا مسقط رأسه .. هنا مكان الدم الذى يناديه ..

مبروكة : ما أبعد قريتنا عن القاهرة !.. هل يستطيع صوت الدم أن يصل إلى البنادر ؟!..

عساكر : أتعتقدين أنه لن يحضر ؟..

مبروكة : علمي علمك يا عساكر ..

عساكر : وخطابه الذى قرأه علينا العريف ؟..

مبروكة : أنسيت أنه قال فيه : « ربما أحضر إذا سمحت بذلك الظروف » ... من يدرى هل الظروف سمحت له أو لم تسمح ؟..

عساكر : لا تكسرى نفسى « يا مبروكة » ... ولا تهدمى أملى .. أنا التى سمعت صفارات القطار تنقلب فى قلبى زغاريد ، مؤذنة بقرب انتهاء هذا الحداد الطويل !.. « علوان » لم يحضر ؟!. وماذا يكون مصيرى ؟!.. وإلى أى وقت أنتظر مرة أخرى ؟!..

مبروكة : المحطة ليست بعيدة .. ودابر الناحية قريب .. ولو أنه حضر

لكان صميده الآن قد غنى ..

عساكر : ربما كانا يمشيان متثاقلين .. يتحادثان .. إنهما لم يتقابلا منذ أكثر من ثلاث سنوات .. منذ آخر مرة ذهب فيها ابنك إلى القاهرة .. فى مولد سيدنا الحسين ..

مبروكة : لو كان حضر لكانت الفرحة هزت ابنى فغنى قبل أن يصل إلى داير الناحية ..

عساكر : ربما نسى أن يفعل .

مبروكة : لا يمكن أن ينسى ..

عساكر : (**تنصت**) لا أسمع غناء ..

مبروكة : (**منصتة**) ولا أنا ..

عساكر : (**وهى تنصت**) ما من أحد يغنى .. حتى ولا راعى غنم !.. وما من شيء يغنى .. حتى ولا بومة فى خرابة !.. صدقت يا « مبروكة » إنه لم يحضر ..

مبروكة : (**كالمخاطبة نفسها**) قلبى يحدثنى بشيء !..

عساكر : بل قلبى أنا .. قلبى الكتوم كالقبر .. الجامد كالصخر ، بدأ يحدثنى الآن بأشياء ..

مبروكة : بماذا يحدثك ؟..

عساكر : بأشياء ستقع ..

مبروكة : أخبرينى ..

عساكر : (**ترهف الأذن**) صه .. اسمعى .. اسمعى .. سمعت يـا مبروكة ؟.. سمعت ؟..

مبروكة : « صميدة » يغنى ؟..

عساكر : وافرحتاه ...

(تصغيان مليا إلى أغنية صميدة التى تسمع من الخارج واضحة شيئا فشيئًا ..)

صميدة : **(يغني فى الخارج باللهجة الصعيدية :)**

يا خل كم عذر جذمنا إليك والتوب
لومك لما زاد مزجنا الجميص والتوب
أنا لما سمعت بالأب خجلى ما بقيش وصفه
وعنيي الاتنين صبوا على الحديد وصفوا

عساكر : حضر .. « علوان » حضر !.. اليوم أمزق قميص الذل ، وألبس ثياب العز ..

مبروكة : ونقيم للمرحوم مأتمه ..

عساكر : وننحر على روحه الجدى والعجل ..

مبروكة : يا فرحتنا !.. يا فرحتنا .. **(تريد أن تزغرد)**

عساكر : **(تمنعها)** لا تزغردى الآن .. لئلا ينكشف الأمر قبل الأوان ..

مبروكة : ساعاتك معدودة منذ الآن يا « سويلم يا طحاوى » !..

(يدق باب الدار .. فتبادر عساكر إلى فتحه .. وعندئذ يظهر « صميدة » حاملا حقيبة ....)

صميدة : جئت بالشيخ علوان !.. **(يضع الحقيبة على الأرض ويظهر « علوان » فى أثره)**

عساكر : **(فاتحة ذراعيها لعلوان)** ابنى .. « علوان » .. ولدى !..

علوان : **(وهو يقبل رأسها)** أماه !..

عساكر : **(لابنها)** سلم على خالتك مبروكة !..

علوان : **(يلتفت)** كيف حالك ؟!.. يا خالتى مبروكة ؟..

مبروكة : حالنا هو حالنا يا علوان .. والبركة فيك !..

صميدة : هلمى بنا الساعة يا أمى إلى دارنا ..

مبروكة : إلى دارنا .. ساعة الفرج قريب يا عساكر !..

(**تنصرف « مبروكة » مع ابنها « صميدة » .. ولا يبقى غير « عساكر » و « علوان » ...**)

عساكر : ألست جوعان يا « علوان » ؟!.. عندى إناء لبن رايب !!..

علوان : ليس بى جوع يا أمى .. أكلت فى القطار شيئًا من كعك وبيض ..

عساكر : ألست عطشان ؟..

علوان : ولا عطشان ..

عساكر : نعم .. لم تجىء لطعامنا ولا لشرابنا .. إنما جئت لتأكل من لحمه وتشرب من دمه ..

علوان : (**كالحالم**) جئت يا أمى لأمر عظيم !..

عساكر : أعرف يا ابنى .. أعرف .. انتظر حتى آتى إليك بما لم ترعينك قبل الآن .. (**تسرع إلى حجرة داخلية وتغيب فيها لحظة....**)

علوان : (**وهو يقلب النظر فيما حوله**) لم تزل عينى ترى فى دوركم هذا الحيوان وروثه ، وزير الماء وقذره ، وأعواد الحطب والذرة تعرش هذه السُّقُف المتداعية!..

عساكر : (**تظهر من الحجرة حاملة خرجا تطرحه أمام ابنها**) سبع عشرة سنة .. وأنا أحتفظ لك بهذه الأشياء !..

علوان : (**ينظر إلى الخرج من غير أن يتحرك**) ما هذا ؟!..

عساكر : الخرج الذى جاءتنى فيه جثة أبيك .. محمولة على حمارة .. فى هذا الجيب وجدت رأسه المقطوع ، وفى الجيب الآخر بقية

الجسم مقطعًا . قتلوه بسكينه الذى كان يحمله .. وألقوا معه بالسكين فى الخرج .. انظر ها هو السكين.. تركته بدمه حتى صدىء عليه .. أما الحمار الذى جاءنى بأبيك المقتول ، بخطواته التى تعرف الدار ، وبرأسه المطأطىء ، كأنه على صاحبه متفجع محزون ، فلم أستطع الاحتفاظ به لك ، فقد نفق بالموت ، وعجز عن احتمال هذه السنين الطوال !!..

علوان : ومن الذى فعل ذلك ؟..

عساكر : « سويلم الطحاوى » ..

علوان : كيف عرفت ؟

عساكر : البلدة كلها تعرف !..

علوان : نعم .. قلت لى ذلك .. وذكرت لى هذا الاسم عشرات المرات .. كلما جئت لزيارتى فى القاهرة .. وكنت صغيرًا لا أفكر ولا أناقش ، أما اليوم فإن عقلى يريد أن يقتنع .. ما هو الدليل ؟.. هل حصل تحقيق فى هذه الجريمة ؟.

عساكر : تحقيق ؟!..

علوان : نعم .. ماذا قلتم للنيابة ؟.

عساكر : النيابة ؟.. يا للعار .. نحن نقول للنيابة ؟!.. « العزايزة » يفعلون ذلك ؟!.. أكان « الطحاوية » فعلوا ذلك فى يوم من الأيام ؟!..

علوان : ألم تسألكم النيابة ؟!..

عساكر : سألتنا .. وقلنا لا نعرف شيئًا .. ولم نرجثة .. وقد دفنا أباك فى الليل سرًا ..

علوان : (**كالمخاطب نفسه**) كى نقتص نحن بأيدينا !..

عساكر : بعين السكين الذى قتل به أبوك !..

علوان : والقاتل ؟..

عساكر : حى يرزق .. حى .. وما من شيخ فى الناحية ولا مزار ولا ولى ، لم أتعلق بحديد شباكه ، ولم أعفر رأسى فى ترابه ، ولم أكشف شعرى فى مقامه ، داعية أن يطيل الله فى أجله .. إلى أن تقبض روحه أنت يا ابنى بيدك !..

علوان : أو اثقة أنت يا أمى أنه هو ؟..

عساكر : ليس لنا من عدو غير الطحاوية..

علوان : ومن أدراك أنه « سويلم الطحاوى » بالذات ؟!.

عساكر : لأنه يعتقد أن أباك هو الذى قتل أباه ؟..

علوان : وهل أبى قتل أباه حقًا ؟..

عساكر : الله أعلم !..

علوان : وما أصل هذه العداوة بين الأسرتين ؟!..

عساكر : لا أدرى .. لا أحد يدرى هذا شىء قديم .. كل ما نعرف هو أنه دائمًا بيننا وبينهم دم ..

علوان : قد يكون الأصل أن عجلة لأجدادنا شربت ذات يوم من مروى فى غيط لأجدادهم !..

عساكر : علم ذلك عند علام الغيوب !.. كل ما يعلم الناس هوأن بين « العزايزة » و « الطحاوية » دماء تجرى كالأنهار ..

علوان : أنهار لا تروى الزراعة ولا الثمار !..

عساكر : (**مستمرة**) لم يقف لها جريان إلا بعد موت أبيك ، لصغر سنك .. وجرت الأعوام جافة كأيام التحاريق .. حتى همس الهامسون ، وأرجف المرجفون .. وأنا أتلوى على الغيظ

وأكظم .. انتظارا لهذه الساعة .. وها هى قد جاءت .. فقم يا ابنى وأطفى نارى ، وارو غليلى من دم « سويلم الطحاوى » !..

علوان : وهل « لسويلم الطحاوى » هذا ولد ؟..

عساكر : له ابن فى الرابعة عشرة ..

علوان : لن يبقى لى إذن فى الحياة غير أربعة أعوام ، أو خمسة !..

عساكر : ماذا تقول ؟..

علوان : (**مستمرًا**) إلى أن يشتد ساعده ، فيصنع بى ما أصنع بأبيه !..

عساكر : أتخاف على حياتك يا « علوان » ؟!..

علوان : وأنت يا أماه .. ألا تخافين عليها ؟!..

عساكر : شهد الله كم أخاف على الشعرة التى فى رأسك !..

علوان : تحرصين على حياتى يا أماه ؟!..

عساكر : وهل لى حياة يا « علوان » إلا بحياتك ؟.. وهل للعزايزة حياة إلا بك !.. إننا لا نعيش جميعًا إلا بأنفاسك منذ سبعة عشر عاما!.

علوان : (**مطرقا**) نعم .. فهمت ..

عساكر : كم شعرنا بالمذلة وكم صبرنا على الضيم .. فما يخطر لنا طيفك ، حتى تنشط فينا الهمم وتقوى العزائم وتتلاقى نظراتنا على الأمل المعقود عليك ..

علوان : (**مطرقا كالمخاطب نفسه**) حقا .. لا بد لكم من حياتى !..

عساكر : حتى مأتم أبيك فى انتظارك يا « علوان » .. وهذه الذبائح معدة للنحر ... وعويلى الذى حبسته فى حلقى طوال هذه الأعوام ينتظرك لينطلق .. وقميصى الذى أمسكت عن شقه كل هذا الزمن يترقبك ليشق .. كل شىء فى وجودنا هامد راكد ..

يتطلع إليك لتدب فيه الحياة ..

علوان : (**كالمخاطب نفسه**) أهكذا تدب فيكم الحياة ؟!..

عساكر : نعم يا « علوان » ... عجل بالساعة الموعودة .. عجل لقد انتظرناها طويلا !..

علوان : (**فى عجب**) الساعة الموعودة !..

عساكر : مامن شيء نسيته .. حتى الحجر الذى سيسن عليه السكين الصدىء .. أحضرته لك وأخفيته فى هذه الحجرة ..

علوان : وكيف أعرف « سويلم » هذا ، وأنا لم أره فى حياتى !!..

عساكر : « صميدة » يدلك عليه ويريك مكانه ..

علوان : (**ينظر إلى زيه**) وهل سأرتكب هذه الفعلة ، وأنا بهذه الثياب ؟!.

عساكر : اخلع ثيابك هذه .. عندى عباءة لأبيك .. أحتفظ بها لك (**تتجه إلى الحجرة الداخلية**)

علوان : (**يستوقفها**) مهلا يا أمى مهلا .. فيم الإسراع ؟!..

عساكر : كل نسمة يستنشقها « سويلم » وأنت هنا هى منحة منك له !..

علوان : وأى ضرر فى ذاك ؟!..

عساكر : إنها تؤخذ من أنفاسنا .. وتستقطع من هنائنا .. لقد مددنا له من حبال العمر برغمنا ما كاد يلحقنا نحن بالقبور .. تأمل أمك يا « علوان » !.. كنت فى الشباب عند موت أبيك . انظر ماذا فعلت بى هذه السنون ؟!.. لكأنها أربعون عاما .. لا سبعة عشر !.. غاض ماء الصبا .. ووهن العظم .. وما بقى لى من قوة غير الذاكرة التى لا يمكن أن تنسى ، والقلب الذى لا يمكن

أن يلين ...

علوان : (**كالمخاطب نفسه**) نعم .. ما أبهظ ثمن التأر على صاحب الدم !..

عساكر : (**غير فاهمة**) ماذا تقول يا علوان ؟!..

علوان : أقول إن المنتقم الجبار كان رحيما عندما أراد تعالى أن يحمل عنا هذا العبء بلا ثمن !..

عساكر : (**بلهجة ارتياب**) ماذا تقصد ؟..

علوان : لا شيء يا أمي .. لا شيء ..

عساكر : (**حاسمة اللهجة**) اخلع ثيابك .. وسأحضر لك العباءة !.. وأسن لك بيدى السكين !..

علوان : أليس هنا من مسجد قريب !..

عساكر : ما عندنا غير « زاوية » صغيرة بجوار كتاب « الشيخ الإسناوى » ...

علوان : (**يتحرك**) سأذهب إليها لأصلى المغرب ..

عساكر : الآن ؟!..

علوان : أظن الشمس قد أوشكت على الغروب ..

عساكر : أتريد أن يراك فى المسجد كل أهل البلد ؟!..

علوان : إنها لخير فرصة تخدم غرضى ...

عساكر : (**تحملق فى وجه**) أأنت مجنون يا « علوان » ؟!..

علوان : (**مستمرًا**) هذا الاجتماع بأهل البلد هو لى من أهم الأمور .. ألم أقل لك يا أمى الساعة إنى جئت لأمر عظيم ؟..

عساكر : (**كالمتهكمة**) ما أظنك ستكشف لأهل البلد عما جئت له ؟!..

علوان : لا بد من أن أطلع الجميع على هذا الأمر ..

عساكر : علوان !.. ابنى !.. ماذا أسمع منك ؟!.. أأنت جاد ؟.. أأنت فى وعيك ؟.. ماذا ستقول لهم ؟!..

علوان : (**كالحالم**) سأقول لهم ما جئت لأقول .. إنى طالما فكرت فى بلدتى وأهل بلدتى .. على الرغم من اغترابى الطويل .. هناك بعد الفراغ من دروس الأزهر ، حيث يجتمع الزملاء ، وتقرأ الصحف ، ويعاودنا الحنين إلى الأرض التى أنبتتنا ، نسائل أنفسنا متلهفين :

متى يعيش أهلنا فى الريف كما يعيش الآدميون ، فى دور نظيفة لا يؤاكلهم فيها الحيوان ؟.. ومتى تعرش سقوفهم بغير أحطاب القطن والذرة ، وتطلى جدرانهم بغير الطين وروث البهائم ؟!.. متى يختفى « الزير » وتجرى فى الدور المياه النقية ؟.. وتذهب المسرجة وتضىء المصابيح الكهربائية ؟.. أكثير هذا على أهلنا؟ أليس لأهلنا حق فى الحياة مثل الآخرين ؟

عساكر : (**كمن لم تفهم**) ما هذا الكلام يا « علوان » ؟!..

علوان : هذا ما يجب أن يعرفه أهل البلد .. وواجبنا نحن الذين تعلمنا فى القاهرة أن نبصرهم بحقهم فى الحياة .. وليس بلوغ هذا المأرب بالصعب عليهم ، إذا اتحدوا وتضافروا وتعاونوا على إنشاء مجلس منهم ، يفرض الإتاوات على القادرين ، وعلى تكوين فرق من الأشداء ، تنهض فى أوقات الفراغ الطويلة هنا ، بإقامة الجسور والمنشآت .. بدلا من إضاعتها فى النفور والمشاحنات .. لو جمعت هذه الكلمة ، وبذلت هذه الهمة ، لقامت هنا بلدة نموذجية .. لن تلبث حتى تكون مثالا يحتذيه كل بلاد القطر !..

عساكر : كلام القراءة والكتابة هذا تسامر به فيما بعد « الشيخ

محمد الإسناوى » ، هو الذى يفهمه .. أما الآن يا « علوان » فأمامنا ما هو أهم من ذلك ..

علوان : (**مصدوما**) ما هو الذى أهم من ذلك ؟!..

عساكر : نعم..دعك من الصلاة فى الجامع الليلة لئلا يفسد الأمر .. صل هنا الليلة إذا شئت .. قم واخلع ثيابك .. وسأحضر لك من « الزير » ماء تتوضأ .. والبس العباءة .. ثم سن معى السكين !..

علوان : (**مطرقا هامسا**) اللهم رحمتك ورضوانك وغفرانك ؟..

عساكر : ماذا تقول يا « علوان » ؟..

كلوان : (**يرفع رأسه**) أقول إنى ما جئت إلا لأبصركم بالحياة وأحمل لكم الحياة..

عساكر : وهذا ما صبرنا الليالى ترقبا له .. سبعة عشر عاما والعزايزة كلهم أموات فى انتظار مجيئك لترد إليهم الحياة !..

علوان : (**يطرق هامسًا**) رباه !.. ماذا أصنع مع هؤلاء ؟!..

عساكر : ما بالك يا علوان تكثر من الإطراق ؟! انهض ولا تضيع الوقت ، انهض ..

علوان : (**يرفع رأسه متشجعا**) أمى .. لن أقتل !..

عساكر : (**تكتم ارتياعها**) ماذا أسمع ؟!..

علوان : لن أقتل ..

عساكر : (**بصوت أجش**) دم أبيك !..

علوان : أضعتموه أنتم بإخفائه عن الحكومة .. القصاص لولى الأمر !..

عساكر : (**بلا وعى**) دم أبيك !..

علوان : يدى لم تخلق لتزهق روحا !..

عساكر : (**شبه غائبة الصواب**) دم أبيك !..

علوان : (**مرتاعا لحالها**) أمى .. ماذا أصابك ؟.. أماه ..

عساكر : (**كمن لا ترى أحدًا أمامها**) دم أبيك .. سبعة عشر عاما .. دم أبيك سبعة عشر عاما ..

علوان : هدئى روعك يا أمى .. إنها حقا لصدمة .. ولكن يجب أن تفهمي أنى لست الرجل الذى يغتال بسكين !..

عساكر : (**هامسة كمن أصابها مس**) سبعة عشر عاما .. ثأر أبيك .. سبعة عشر عاما ..

علوان : (**كالمخاطب نفسه**) أعرف أنك احتملت وصبرت طويلا يا أمى .. لو كان صبركم هذا وقوة احتمالكم لهدف نافع ، لأقمتم المعجزات !.. لكن افهمى منى ..

عساكر : (**فى شبه حشرجة**) دم أبيك !..

علوان : (**يسرع إليها مرتاعا**) أمى .. أمى .. أمى !..

عساكر : (**تفيق بين يديه**) من أنت ؟!..

علوان : ابنك « علوان » .. ابنك !..

عساكر : (**تفطن ثم تصيح**) ابنى ؟!.. ابنى أنا ؟!.. لا .. لا .. أبدًا .. أبدًا ..

علوان : (**مأخوذًا**) أمى !..

عساكر : لست أمك .. ولا أعرفك .. لم يخرج من بطنى ولد .. لم يخرج من بطنى ولد ..

علوان : (**متوسلا**) افهمنى منى يا أمى ..

عساكر : اخرج من دارى .. لعنة الله عليك إلى يوم الدين .. اخرج من دارى ..

علوان : أمى !..

عساكر : (**صائحة**) اخرج من دارى .. وإلا استنجدت بالرجال ليخرجوك .. عندنا رجالنا .. لم يزل فى العزايزة رجال .. أما أنت فلست منهم .. اخرج .. من دارى ..

علوان : (**يتناول حقيبته**) سأذهب إلى المحطة لأعود من حيث جئت .. وأسأل الله أن تسكن نفسك الثائرة ، وأراك قريبا فى « القاهرة » لأفهمك وجهة نظرى فى جو هادئ بعيد .. إلى اللقاء يا أمى !..

(ينصرف تاركا أمه « عساكر » فى مكانها بلا حراك . ولا تمضى لحظة حتى يظهر « صميدة » مطلا برأسه من الباب الذى دفعه برفق)

صميدة : أأنت التى كنت تصرخين يا خالة « عساكر » ؟!..

عساكر : (**بعزم وقد ثابت إلى رشدها**) تعال يا « صميدة » !..

صميدة : (**يتلفت حوله**) أين ابنك « علوان » ؟..

عساكر : ليس لى ابن .. لم أرزق ولدا !..

صميدة : ماذا تقولين يا خالتى « عساكر » ؟!..

عساكر : لو كان لى ولد لأخذ بثأر أبيه !.. قد مات.. (**تتناول** الزمان!.. ؟!..

صميدة : (**يبحث بعينه فى المكان**) أين ذهب ؟..

عساكر : إلى المحطة .. ليعود إلى القاهرة ..

صميدة : صدقت أمى !.. عندما رأته الساعة قالت ونحن خارجان : ليس هذا « الأستاذ » هو الذى سيقتل « سويلم الطحاوى » !..

عساكر : ليت بطنى قطع تقطيعا قبل أن يخرج إلى الدنيا مثل هذا الابن !..

صميدة : هونى عليك يا خالتى .. فى « العزايزة » رجال !..

عساكر : البركة فيك يا « صميدة » !..

صميدة : ولد العم فى مقام الابن ..

عساكر : ولكن الابن حي .. وهو الأولى بدم أبيه .. حى .. حى .. يمشى بين الناس !..

صميدة : هبى أنه قد مات..

عساكر : ليته مات حقا وهو صغير فى بئر الساقية .. ما كنا انتظرنا هذه السنين الطوال ، نتقلب على جمر الغيظ المكتوم ، ونترقب فى غير طائل .. ليته ميت ، كنا عشنا بعذرنا ، وما ارتدينا عارنا .. ولكنه حى .. وقد شاع فى الناحية وذاع فى الأسواق أنه حى .. فيا للعيب .. ويا للخجل .. ويا للعار ويا للشنار !..

صميدة : هونى عليك يا خالة !..

عساكر : كل شيء يهون إلا هذه الوصمة !.. ما بعد هذه الوصمة عيش !.. كيف أعيش فى البلد وقد عرف الناس أن لى مثل هذا الولد ؟!.. ما أكثر البصقات التى سوف تقذف من الأفواه كلما لفظ اسمه .. سوف تسمع الصيحات من كل جانب : « خيبة الله على بطن قذفه !.. » نعم .. هذا البطن .. (**تضرب بطنها بيدها ضربات شديدة جنونية**) خيبة الله على هذا البطن .. سيسخر منه كل نساء البلدة ، حتى الشوهاء والبلهاء والعاقر .. هذا البطن ... هذا البطن .. هذا البطن !..

صميدة : (**يحاول منعها**) يا خالة « عساكر » .. لا تؤذى نفسك هكذا !..

عساكر : هات السكين يا « صميدة » .. ابقره به ..

صميدة : أجننت ؟!..

عساكر : (**صائحة**) صميدة .. أأنت رجل ؟!..

صميدة : (**يحملق فيها**) ماذا تريدين ؟..

عساكر : ادرأ عن ابن عمك العار !..

صميدة : علوان ؟!..

عساكر : وعن أمه .. خالتك « عساكر » .. ادرأ عنها العار ..

صميدة : ماذا أعمل ؟..

عساكر : (**تتناول السكين من الخرج**) اقتله بهذا السكين !..

صميدة : أقتل من ؟..

عساكر : علوان .. اغمد هذا السكين فى صدره !..

صميدة : أقتل علوان ؟.. ابنك ؟!..

عساكر : نعم .. اقتله .. اجعله فى الأموات ..

صميدة : اعقلى يا خالة !..

عساكر : افعل ذلك يا صميدة .. من أجلى ومن أجله !.

صميدة : من أجله ؟!..

عساكر : نعم.. خير له ولى أن يقال قتل ومات من أن يقال هرب من ثأر أبيه !..

صميدة : ولد عمى ..

عساكر : إذا كنت رجلا يا « صميدة » فلا تدعه يفضح « العزايزة » !.. لن تستطيع بعد اليوم أن تمشى فى الناس مشية الرجال ، سوف يتهامسون عليك ، ويضحكون منك فى الأكام ويشيرون إليك فى الأسواق قائلين : امرأة تسترت على امرأة !..

صميدة : (**كالمخاطب نفسه**) امرأة !..

عساكر : لو كان فى « الطحاوية » مثل هذا الابن . لما تركوه حيا ساعة من

الزمان!.. ؟!..

صميدة : (**كالمخاطب نفسة**) امرأة تسترت على امرأة !..

عساكر : نعم .. أنت !.. إذا قبلت التغاضى عن ابن عمك بعد الذى حصل منه !..

صميدة : (**مادًا يده بعزم**) هاتى السكين !..

عساكر : (**وهي تعطيه السكين**) خذ .. بل انتظر .. حتى أغسل ما تجمد على حده من الصدإ والدم !..

صميدة : (**بعجلة**) « هاتى » .. قبل أن يفلت فى قطار المغرب !..

عساكر : (**تعطية السكين بقوة وعزيمة**) خذ .. وليغسل دمه ما تجمد على النصل من دماء أبيه .

صميدة : (**وهو منصرف بالسكين**) إذا تم قتله يا خالة ، فستسمعين صوتى ينطلق بالأغنية من داير الناحية !..

(ينصرف مسرعا وتبقى « عساكر » وحدها مسمـرة فى الأرض كتمثال .. جامدة النظرات كالغارقة فى ذهول .. إلى أن تظهر من الباب « مبروكة » حاملة على رأسها الماء ...)

مبروكة : (**وهى تنزل الإناء من فوق رأسها**) ملوحة جئت بها للشيخ « علوان » !..

عساكر : (**تلتفت ببطء**) البقية فى حياتك يا « مبروكة » !..

مبروكة : حياتك الباقية ، فيمن ؟..

عساكر : « علوان » ..

مبروكة : ابنك ؟!

عساكر : ليس الآن ابنى .. بل ابن التراب !..

مبروكة : ما هذا الذى تقولين يا عساكر ؟!.. لقد تركته معك منـذ

قليل .. أين هو ؟..

عساكر : ذهب إلى المحطة ، ليعود من حيث جاء ، هاربا من ثأر أبيه !..

مبروكة : (**مطرقة**) هذا ما حدثنى به قلبى !..

عساكر : صدق فألك يا « مبروكة » !..

مبروكة : ليته ما حضر !..

عساكر : سبعة عشر عاما ونحن ننتظر !..

مبروكة : وفى كل عام منها تقولين قد كبر .. كأنه نبت ذرة ، تقيسينه كل يوم بالشبر .. حتى إذا ترعرع وطال ونضج كوزه ونزعت غلافه ، فوجدته خاليا من الحب والثمر !..

عساكر : لو أنه كان نبتا فارغا لهان الخطب .. فما كنا ننتظر منه غنما لنا .. ولكننا كنا ننتظر منه ردًا لكرامتنا .. لطالما فخرت بـه يـا « مبروكة » فى نفسى .. وفاخرت به أمامك .. وحسبت أنى أنجبت الولد الذى سيغسل شرف الأسرة.. وإذا ابنى أنا الذى ولدته وأخفيته كما يخفى الكنز فى « الزلعة » ليس غير وصمة أصابت شجرتنا ، كما تصيب اللطعة شجرة القطن .. ألف رحمة عليك يا زوجى المهدر الدم .. لقد خلفت لك الابن الذى يشمت خصومك وتقر به أعين أعدائك !.

مبروكة : يا فضيحة « العزايزة » ..

عساكر : لو بقى حيا .. ولكنه بعد قليل يوارى فى التراب !..

مبروكة : (**تتلفت فجأة**) أين « صميدة » ؟!..

عساكر : (**ترهف الأذن لصوت صفير**) صه .. هذا قطار المغـرب يدخل المحطة !..

مبروكة : أين « صميدة » يا « عساكر » ؟!..

عساكر : (**وهى ترهف الأذن**) اسكتى .. الآن فى هذه الساعة .. فى هذه الساعة ؟..

مبروكة : (**بدهشة**) ماذا فى هذه الساعة ؟!..

عساكر : (**كالمخاطبة نفسها**) أترى القطار قد خطفه ؟.. أم الـذى خطفه ..

مبروكة : ما دام قد ذهب إلى المحطة كما قلت ، فلا بد أنه قد ركب القطار ، ولن تجدى كل دعوات الهلاك هذه التى تصبينها عليه !..

عساكر : أتظنين حقًا يا « مبروكة » أنه ركب القطار ؟..

مبروكة : وما الذى يكون قد منعه ؟..

عساكر : (**بدون وعى**) « صميدة » !..

مبروكة : صميدة ؟!.. أذهب خلفه ليمنعه من السفر ؟..

عساكر : نعم ..

مبروكة : متى ذهب ؟..

عساكر : قبل مجئك بقليل .

مبروكة : ما أظنه سيلحق به ؟..

عساكر : (**تتنفس**) أتعتقدين يا « مبروكة » ؟..

مبروكة : إلا إذا جرى وركض ..

عساكر : (**ترهف الأذن لصفير**) ها هو القطار يغادر المحطة ..

مبروكة : (**تحملق فيها**) مالك يا عساكر !.. ما لوجهك قد اصفر !..

عساكر : بماذا يحدثك قلبك يا « مبروكة » ؟!..

مبروكة : يحدثنى قلبى بأنه ذهب !..

عساكر : ذهب .. ذهب .. أين ؟..

مبروكة : من حيث جاء !..

عساكر : (**محملقة**) ماذا تقصدين ؟!..

مبروكة : (**وهي تراقبها**) ما لصدرك يا « عساكر » يعلو ويهبط ؟!..

عساكر : (**تهمس زائغة البصر**) ذهب من حيث جاء !..

مبروكة : أما زلت يا « عساكر » تؤملين فيه خيرا ؟!..

عساكر : لا ..

مبروكة : اعتبريه كأن لم يكن ..

عساكر : (**كالمخاطبة نفسها**) نعم .. موته أستر من حياته !..

مبروكة : احمدى الله أنه بعيد .

عساكر : (**كمن تسائل نفسها**) أهو الآن فى القطار ؟!..

مبروكة : من يدرى ؟.. ربما استطاع « صميدة » أن يلحق به ، وأن يثنيه عن السفر ، وأن يعود به الآن ..

عساكر : (**كالحالمة**) يعود به الآن ؟!..

مبروكة : ولم لا ؟.. إن « صميدة » إذا أطلق ساقيه للريح فلن يفوته القطار ..

عساكر : (**فى همس**) سيلحق به ؟!.

مبروكة : وقد لا يمضى قليل حتى نراهما قد جاءا مرة أخرى معا ..

عساكر : (**كالمخاطبة نفسها**) لا .. هذه المرة لن يجىء « صميدة » إلا وحده ..

مبروكة : (**وهي تراقبها بقلق**) وجهك يا « عساكر » يخيفنى !..

عساكر : (**ترهف الأذن**) صه .. اسمعى .. اسمعى .. ألا تسمعين شيئًا ؟!..

مبروكة : لا . ماذا تريدين أن أسمع ؟!..

عساكر : غناء ؟!..

مبروكة : (**تصغي** لا .. لا أسمع غناء ..

عساكر : (**وهي تتنفس**) ولا أنا ..

مبروكة : أقال لك « صميدة » إنه سيغني ؟!..

عساكر : (**كالمخاطبة نفسها في قلق**) لعله لم يصل بعد إلى داير الناحية !..

مبروكة : في ظني أنه قد وصل .

عساكر : (**وهي تتنفس**) وصل إلى داير الناحية و لم يغن !..

مبروكة : ما لوجهك يا عساكر قد تورد !..

عساكر : (**هامسة**) لم يلحق به ..

مبروكة : تفضلين يا « عساكر » ألا يعود .. وأن يحمله قطاره بعيدًا عن هذه البلدة.أنا أيضًا معك .. أفضل له العودة إلى قاهرته وشيوخه وأترابه .. فما هو منا الآن وما نحن منه !.. ولقد أحسن صنعًا بالإسراع إلى تركنا ، قبل أن يختلط به أهل البلد ويعرفوا من أمره ما عرفنا ..

عساكر : (**مصغية إلى صوت بعيد**)؟..

مبروكة : (**تلتفت اليها**) أذنك ليست معي يا « عساكر » .. ألست أقول حقًا ؟!..

عساكر : (**بصوت أجش مروع**) لا .. لا أسمع شيئًا !..

مبروكة : (**مصغية**) بل هذا « صميدة » يغني !.. (**تلتفت مذعورة إلى « عساكر » التي تبلورت عيناها**) « عساكر » !.. « عساكر » !.. ماذا أصابك ؟.. إنك تخيفينني !..

صميدة : (**يغنى من الخارج باللهجة الصعيدية:**)

ياخـــــل كم عـــــذر   جدمنـــا إلـيك والتـــوب
لـــــــــــومك لما زاد   مزجنـا الجمـيص والتـــوب
أنـــا لما سمعت بـــالأب   خـجلى مـا يجيش وصفـه
وعينـــى الاتـــنين صبـــوا   على الخديـــد وصفـــنوا

عساكر : (**تتجلد بقوة حتى لا تنهار ولكن صيحة خافته مكتومـة كالحشرجة تفلت منها :**) ولدى !..

(**ستـــــار**)

فهـــرس

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٤٥٠ قرشا